

الدكتور جميل حمداوي

التداوليات وتحليل الخطاب



المؤلف: جميل حمداوي
العنوان: التداوليات وتحليل الخطاب
الطبعة الأولى: 2015م
حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

الإهداء

إلى أمي وأبي

إلى أهلي وعشيرتي

إلى أساتذتي

إلى زملائي وزميلاتي

إلى الشموع التي تحترق لتضيء الآخرين

إلى كل من علمني حرفاً

أهدي هذا البحث الأكاديمي راجياً من المولى

عز وجل أن يجد القبول والنجاح

المقدمة

يقصد بالمقاربة التداولية تلك النظرية النقدية التي تدرس الظواهر الأدبية والثقافية والفنية والجمالية في ضوء التداوليات اللسانية. ويعني هذا أن المقاربة التداولية تدرس النص أو الخطاب الأدبي في علاقته بالسياق التواصلية، والتركيز على أفعال الكلام، واستكشاف العلامات المنطقية الحجاجية، والاهتمام بالسياق التواصلية والتلفظي. وبتعبير آخر، تركز المقاربة التداولية على عنصر المقصدية والوظيفة في النصوص والخطابات. وبهذا، تكون التداوليات قد تجاوزت سؤال البنية وسؤال الدلالة، لتتجهت بسؤال الوظيفة والدور والرسالة والسياق الوظيفي. كما تعنى المقاربة التداولية بفهم العلاقات الموجودة بين المتكلم والمتلقي ضمن سياق معين؛ لأن البعد التداولي يبنى على سلطة المعرفة والاعتقاد. وتسمى هذه المقاربة كذلك بالمقاربة التواصلية، أو المقاربة الوظيفية، أو المقاربة الذرائعية، أو المقاربة المنطقية، أو المقاربة البراجماتية، أو المقاربة الحجاجية... وهلم جرا.

وإذا كانت المقاربة التداولية قد عرفت انتشاراً في الغرب، فإن هذه المقاربة مازالت في بداياتها الأولى في العالم العربي، على الرغم من وجود آثارها في تراثنا العربي القديم في البلاغة والفقه والفلسفة وأصول الفقه...، ولم يتم استدماجها بعد في حقلنا الثقافي العربي الحديث والمعاصر لمقاربة النصوص والخطابات الأدبية والإبداعية، ماعداً بعض الاستثناءات القليلة التي تعد على الأصابع.

إذاً، ما المقاربة التداولية؟ وما سياقها المعرفي والتاريخي؟ وما مجمل التصورات التداولية تجاه النص أو الخطاب الأدبي؟ وما حدود هذه المقاربة إن تنظيراً وإن تطبيقاً؟

هذا ما سوف نرصده في كتابنا هذا الذي عنونه بـ(التداوليات وتحليل الخطاب)، على أساس أن ليس هناك مقاربة تداولية واحدة، بل هناك عدة تيارات واتجاهات ومدارس تعنى بالفعل التداولي والحجاجي والتواصلية، سواء أكان لسانياً أم أدبياً أم نقدياً أم فلسفياً أم منطقياً.

ونرجو من الله عز وجل أن يلقي هذا الكتاب المتواضع رضا القراء،
ويعود عليهم بالنعمة والفائدة، داعياً لنفسي بالمغفرة والتوبة من أي تقصير
أو ادعاء أو نسيان أو خطأ أو سهو.

المبحث الأول: تحديد المصطلح

يترجم مصطلح (Pragmatique) بعدة كلمات باللغة العربية، فهناك: الذرائعية، والتداولية، والبراغماتية، والوظيفية، والاستعمالية، والتخاطبية، والنفعية، والتبادلية... لكن أفضل مصطلح، في منظورنا، هو التداولية؛ لأنه مصطلح شائع بين الدارسين في ميدان اللغة واللسانيات من جهة؛ ولأنه يحيل على التفاعل والحوار والتخاطب والتواصل والتداول بين الأطراف المتلطفة من جهة أخرى. أما مفهوم الذرائعية، فيدل على مدرسة فلسفية ظهرت في الولايات المتحدة الأمريكية في القرن التاسع عشر، مع جون ديوي وويليام جيمس اللذين يريان أن الحقيقة تكمن في طابعها المنفعي والمصلحي. ويعني هذا أن الحقيقة الصادقة واليقينية هي التي تحقق المنفعة والمصلحة للإنسان، وتحقق المشاريع المستقبلية الهادفة، وتساهم في تنمية الأفراد والرقى بالمجتمعات عن طريق تحقيق المردودية والإنتاجية، والارتباط بالحياة العملية والواقعية المفيدة. ومن ثم، فكل الأفكار والحقائق التي لا تحقق مصلحة أو منفعة للإنسان، ولا تفيد المرء في حياته اليومية والعملية، فهي حقائق زائفة، وغير نافعة، ولا مجدية إطلاقاً. فالحقيقي هو المفيد والنافع والصالح. لكن قد تختلف المنافع والمصالح من فرد إلى آخر، ومن جماعة إلى جماعة، وقد تسبب هذه المصالح في صراعات شرسة بين الناس. وعلى الرغم من هذا الطابع السلبي للحقائق البراجماتية العملية، فإن المصلحة أو الحقيقة البراجماتية هي حقيقة مستقبلية، تدفع الإنسان إلى العمل والاجتهاد والإنتاج والرفع من المردودية، وتحصيل الكفاءات الحقيقية من أجل تحقيق ما يصبو إليه الإنسان من مكانة رفيعة في المجتمع. ومن هنا، فالمجتمع الأمريكي والإنجليزي يأخذان بهذا النوع من الحقيقة المقترنة بالمنفعة والمصلحة المادية أو المعنوية. وبكل بساطة، يقوم الصحيح، عند وليام جيمس، على ما هو مفيد لفكرنا، وينبني الصائب أيضاً على ما هو مفيد لسلوكنا.¹

¹ - W. James : le pragmatique, traduction E.Le Brun, Edition Flammarion, 1968, p: 151.

ومن هنا، يرى البراجماتيون أن الأفكار الحقيقية هي " تلك التي نستطيع أن نستوعبها، ونستطيع أن نصادق على صحتها، ونستطيع أن نعززها بفعل انخراطنا فيها، وأخيراً أن نتحقق منها...".

هذه هي الأطروحة التي أَدافع عنها- يقول وليام جيمس- حقيقة فكرة ما ليست خاصة متضمنة فيها، وتبقى غير فاعلة. الحقيقة هي حدث يتم إنتاجه من أجل فكرة ما، وتصير هذه الأخيرة حقيقة بفضل بعض الوقائع. إنها تكتسب حقيقتها من خلال العمل الذي تنجزه. أي: العمل الذي يقتضي أن تتحقق من نفسها بنفسها، ويكون هدفها ونتيجتها التحقق الذاتي؛ كما أنها تكتسب صلاحيتها بإنجازها لعمل يهدف إلى نتيجة تتمثل في إثبات مصداقيتها.²

إذاً، لا يرى البراجماتيون في الحقيقة إلا طابعها المادي ومنحائها المنفعي والمصلحي لتحقيق التنمية والتقدم. بينما يجب أن تكون الحقيقة في جوهرها معرفية وعملية وأخلاقية.

أما الدكتور أحمد المتوكل في كتابه (اللسانيات الوظيفية)، فيستعمل الوظيفية والتداولية بمفهوم واحد³. في حين، يستخدم الدكتور سعد البازعي والدكتور ميجان الرويلي مصطلح (الذرائعية) كما في كتابهما (دليل الناقد الفني)⁴. وإذا انتقلنا إلى الدكتور محمد محمد يونس علي، فإنه يفضل استعمال مصطلح علم التخاطب. وفي هذا الصدد، يقول الباحث: " أفضل ترجمة مصطلح (Pragmatics) بعلم التخاطب، وليس بالتداولية، أو النفعية، أو الذرائعية كما يفعل عدد من اللسانيين العرب توهماً منهم بأن (Pragmatics) ، و (Pragmatism) شيء واحد. والواقع أن المصطلح الأول يطلق على الدراسات التي تعنى بالمعنى في السياقات الفعلية للكلام، وهو ما يتفق مع معناها الحرفي، وهو علم الاستعمال. وإذا نظرنا في تراثنا البلاغي والأصولي، فسنلاحظ أن الاستعمال- الذي يقابل الوضع عادة- يطلق على النشاط الذي يقوم به المتكلم في عملية التخاطب. ولذا،

² -W. James : le pragmatique, traduction E.Le Brun, Edition Flammarion, 1968, p: 144-142.

³ - أحمد المتوكل: اللسانيات الوظيفية، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية 2010م.

⁴ - سعد البازعي وميجان الرويلي: دليل الناقد الأدبي، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية، سنة 2000م، ص:100.

فإن ترجمة (Pragmatics) بعلم التخاطب أنسب- في رأيي- من الخيارات التي اطلعت عليها حتى الآن. أما (Pragmatism) فهي مدرسة فلسفية ظهرت في أمريكا تذهب إلى أن الفكرة النظرية لاتجدي نفعاً ما لم تكن لها تطبيقات عملية. وعلى الرغم من وجود صلة منهجية بين المجالين (والمصطلحين) تكمن في التقليل من شأن المجرد، والعناية بما هو عملي، وسياقي، ومتحقق فعلاً؛ فإن اهتمام الحقل المسمى بـ(Pragmatism) يقتصر على اللغة خاصة. في حين، يعني الحقل الآخر بالفلسفة، وإن امتدت آثاره في السياسة، وعلم الاجتماع، وغيرهما.⁵ وعلى أي حال، سواء أخذنا بالتداولية أم بالتخاطبية، فالمصطلحان معا أفضل بكثير من مصطلح الذرائعية الذي يحيل على الفلسفة المنفعية أكثر مما يحيل على اللغة ومكوناتها اللسانية.

⁵ - محمد محمد يونس علي: مدخل إلى اللسانيات، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى سنة 2004م، ص:102، (الهامش).

المبحث الثاني: مفهوم المقاربة التداولية

من المعلوم أن المقاربة التداولية هي تلك المنهجية التي تدرس الجانب الوظيفي والتداولي والسياقي في النص أو الخطاب، وتدرس مجمل العلاقات الموجودة بين المتكلم والمخاطب، مع التركيز على البعد الحجاجي والإقناعي وأفعال الكلام داخل النص. بمعنى أن التداوليات هي ذلك " العلم الذي يدرس المعنى، مع التركيز على العلاقة بين العلامات ومستعملها والسياق، أكثر من اهتمامها بالمرجع أو بالحقيقة، أو بالتركيب."⁶

وتهتم التداوليات أيضا بالمرجع والإحالة التي تم إقصاؤها من فرديناند دوسوسير الذي حصر العلامة في الدال والمدلول. ومن ثم، ترفض المقاربة التداولية في مجال الأدب والنقد التركيز على البنيات الشكلية والجمالية، دون مساءلة أفعال الكلام والمقصدية الوظيفية. فضلا عن ذلك، تدرس المقاربة التداولية اللغة العادية واللغة اللاعادية (اللغة الشعرية، اللغة الروائية، واللغة الدرامية..)، وحضور الأنا والأنت، والسياق التواصلية، والوظيفة المقامية والمقالية، والانتقال من الحرفي إلى الإنجازي، ودراسة الحجاج في النصوص والخطابات التي يكون هدفها هو الإقناع الذهني والتأثير العاطفي الوجداني، وأيضا دراسة السرد الإقناعي كما عند غريماس، وخاصة في خانة التطويع والتحفيز المبنية على فعل الاعتقاد، وفعل التأويل، وخانة الكفاءة المبنية على منطق الجهات (وجود الفعل، ومعرفة الفعل، وقدرة الفعل، وإرادة الفعل).

وعليه، فالمقاربة التداولية هي دراسة العلامات في علاقة مع مستعملها. ومن ثم، تركز اللغة على ثلاثة مكونات ضرورية ومتكاملة حسب شارل موريس، هي: التركيب، والدلالة، والوظيفة. أضف إلى ذلك، فللغة ثلاثة مظاهر: مظهر خطابي، ومظهر تواصلية، ومظهر اجتماعي. لذا، فالمقاربة التداولية هي التي تركز على الجانب التواصلية في اللغة الطبيعية. وتستند المقاربة التداولية كذلك إلى تخصصات عدة. فهناك-

⁶ - A.J.Greimas.J.Courtés:Sémiotique.Dictionnaire Raisonné de la théorie du langage. Hachette Université, Paris, 1979, Sémiologie, pp:335-339.

مثلا- تداولية تحليلية، وتداولية تلفظية، وتداولية نفسية- اجتماعية،
وتداولية نصية، وتداولية سوسiolغوية...
ومن هنا، تدرس المقاربة التداولية الإشاريات، والمقصدية، وأفعال الكلام،
والوظيفة، والسياق، والإحالة المرجعية، والحجاج اللغوي، والإقناع ..،
والحوارية...

المبحث الثالث: سياق ظهور المقاربة التداولية

من المعروف أن الدراسات التداولية قد ظهرت في الولايات المتحدة الأمريكية في القرن التاسع عشر الميلادي، وتطورت بعد الحرب العالمية الثانية مباشرة. ومن ثم، فقد تبلورت النظرية البراغماتية مع وليام جيمس (William James) (1842-1910م) الذي اهتم بالجانب المنفعي والمصلحي، حيث ربط الفكرة بطابعها المنفعي في الواقع، إذ كان وليام جيمس يربط الفكر بالواقع العملي والممارسة الواقعية، بالتشديد على المصلحة والمنفعة والإنتاجية، بغية بناء مستقبل عملي زاهر. أما شارل ساندرس بيرس (Charles S. Peirce) (1834-1914)، فقد اهتم بتداولية سيميائية قائمة على نظام العلامات، حيث ميز بين الرمز، والإشارة، والأيقون. وبدأ في تفريعها إلى أقطاب سيميائية ثلاثية ذات طابع منطقي ووجودي وأنطولوجي. وبعده، جاء شارل موريس ليميز بين ثلاثة مظاهر في اللغة الطبيعية: المظهر التركيبي، والمظهر الدلالي، والمظهر التداولي. وبذلك، بشر موريس بالمقاربة التداولية التي تعنى بالوظيفة السياقية. وقد جاءت هذه المقاربة الوظيفية السياقية رد فعل على منهجية نوام شومسكي التي تركز على التركيب والدلالة، وتقصي الوظيفة السياقية، وهي وظيفة ضرورية لاكتمال الفهم الحقيقي المتعلق باللغة الإنسانية، على الرغم من أن نوام شومسكي، فيما بعد، سيدمج القدرة التداولية إلى جانب القدرة الكفائية ضمن نظريته اللسانية التفسيرية التي تسمى بالنظرية التوليدية التحويلية (Generative grammar).

هذا، ويمكن الحديث عن مجموعة من التداوليات والتيارات الذرائعية في الغرب من بينها: تيار موريس الذي يتزعمه كل من بنيفينست، ولانيس، وأوريكشيوني... وقد ركز هؤلاء على نظرية التلفظ، فربطوها بالسياق التواصلية الذي ينبنى على المعينات (أسماء الإشارة، والضمان، وأداة التعريف، وأدوات التملك..)، والزمان، والمكان، والصيغ العاطفية والانفعالية، وأحكام التقويم، وتعابير الجهة (جهة الضرورة والإمكان، وجهة المعرفة، وجهة الفعل، وجهة الكينونة والظهور). أما تيار فلاسفة أكسفورد بما فيهم أوستين وسورل وكرايس...، فقد اهتموا بنظرية أفعال الكلام، بمعنى أن الفعل الكلامي يؤدي إلى تحويل وضع المتلقي، وتغيير

نظام معتقداته ، وتبديل مواقفه السلوكية. ويمكن الإشارة كذلك إلى بعض التيارات والنظريات التداولية الأخرى، كالنظرية التخاطبية، والنظرية التفاعلية، والنظرية الحجاجية، والنظرية التلفظية، ونظرية المقصدية، والنظرية التوليدية الوظيفية مع فان ديك، وهاليداي، ورقية حسن، وأحمد المتوكل... وهناك التيار السردي مع كريماس، وجوزيف كورتيس، وجماعة أنتروفيرن... وهناك المقاربة التأويلية مع بول ريكور الذي اهتم كثيرا بالإحالة السياقية، ومدرسة فرانكفورت التي اهتمت بدورها بالسياق التواصلي مع هابرماس...

المبحث الرابع: التداوليات والنص الأدبي

استفاد النص أو الخطاب الأدبي من مجموعة من المقاربات والنظريات والمناهج، خاصة بعد مرحلة مابعد الحداثة بين سنوات الستين والسبعين من القرن العشرين الميلادي. ومن أهم هذه المقاربات التي انفتحت عليها الأدب بصفة عامة، والبلاغة بصفة خاصة، المقاربة التداولية بكل تياراتها الحجاجية، والمنطقية، واللغوية، والتخاطبية، والتداولية، والسياقية. ومن ثم، فثمة تصورات تداولية عدة حول النص والخطاب الأدبي تختلف من تيار إلى آخر، ومن تداولي إلى تداولي آخر. إذاً، ما مجمل هذه التصورات التداولية التي استفاد منها النص الإبداعي بصفة خاصة، و الخطاب الأدبي والفني بصفة عامة؟ هذا ما سنعرفه بشكل جلي في المطالب الموالية.

المطلب الأول: النص الأدبي خطاب قبل كل شيء

إذا كانت اللسانيات تتعامل مع الجملة باعتبارها منطلقاً للدراسة والتحليل، سواء أكان ذلك في منظور البنيوية السوسيرية أم في منظور البنيوية الوظيفية أم في منظور الكلوسيماتيكية لهلمسليف أم في منظور التوزيعية (بلومفيلد، وهوكيت...) أم في منظور التوليدية التحويلية مع نوام شومسكي، فإن المقاربة التداولية تتجاوز الجملة لدراسة الخطاب والنص، وخاصة مع لسانيات النص واللسانيات الوظيفية كما عند فان ديك - مثلاً - في كتابه (النص والسياق) (1977م)⁷، وهاليداي وحسن رقية في كتابهما (الاتساق في اللغة الإنجليزية) (1976م). ويعني هذا أن التداوليات النصية تعاملت مع الخطاب ككلية عضوية متسقة ومنسجمة، بل اعتبرته جملة نصية كبرى، يمكن التعامل معها كالتعامل مع الجملة اللسانية. ونجد هذا هذا التصور كذلك عند إميل بنيفنست، وهاريس، ورومان جاكبسون، والسيميائيين (كريماص)، والتأويليين (بول ريكور)، وجمالية التلقي (ياوس وآيزر)...

⁷ - فان ديك: النص والسياق، ترجمة: عبد القادر قينيني، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب، الطبعة الأولى سنة 1999م.

وبناء على ماسبق، تتعامل التداولية مع النص الأدبي باعتباره خطاباً وملفوظاً لغوياً ذا كلفة عضوية، سواء أكان ذلك الخطاب شفويًا أم كتابياً، حيث تربط ملفوظاته بالوظيفة، والسياق المقامي، والأداء الإنجازي، وندرس مكوناته التلفظية السياقية، وروابطه الحجاجية المنطقية وغير المنطقية، ونربطه أيضاً بالحوارية، والمقصدية، والإحالة، والتفاعل، والتخاطب التداولي...

المطلب الثاني: النص الأدبي خطاب لغوي وظيفي

من المعلوم أن فرديناند دوسوسير، في كتابه (محاضرات في اللسانيات العامة) الذي نشره سنة 1916م، قد اعتبر فيه اللغة عبارة عن علامة، وتتكون هذه العلامة من الدال الصوتي والمدلول المعنوي، لكنه أبعد المرجع الحسي المادي، واحتفظ بما هو مجرد وصوري. ومن ثم، فقد كان يدرس اللغة لذاتها ومن أجل ذاتها. ويعني هذا أنه كان يركز على دراسة اللغة باعتبارها ملكة اجتماعية أساسية وثابتة، ويقصي الكلام باعتباره ظاهرة فردية متغيرة وهامشية. ويدل هذا كله على أن دوسوسور لم يهتم بالسياق المرجعي الوظيفي، واكتفى بالجانب الصوتي والمعنوي المرتبطين باللغة، ولم يهتم بالكلام والإنجاز القائم على البعد المرجعي والإحالي والسياقي.⁸

ويساعدنا هذا كله على التعامل مع النص الأدبي باعتباره خطاباً يحمل في طياته وظائف ومقاصد سياقية، فكل ما يوجد في النص يدل بشكل من الأشكال، ويحيل على أدوار تداولية ومقاصد مباشرة وغير مباشرة، فليس هناك في النص الأدبي ما هو مجاني وزائد، بل ترتبط الدلالة بالمعاني السياقية والرسائل الظاهرة والمضمرة. بمعنى أن لغة النص الأدبي وظيفية وتداولية، تحمل في مظاهرها أبعاداً سياقية سياسية، واجتماعية، واقتصادية، وثقافية، وتاريخية، ونفسية، وجنسية، وعقائدية... أي: لم يعد النص الأدبي علامات وبنيات داخلية مغلقة، كما كانت تقول البنيوية اللسانية والسميائيات، بل النص الأدبي بنية ودلالة وتركيب ووظيفة

⁸ محمد الحناش: البنيوية في اللسانيات، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، المغرب، الطبعة الأولى سنة 1980م، ص: 189.

سياقية قبل كل شيء. لذا، لابد من مراعاة السياق والوظيفة في تحليل النصوص والخطابات الأدبية، ولاسيما الشعرية منها. وعليه، " فالنص الشعري- مثلا- ليس لعب ألفاظ، وليس نقل تجربة ذاتية وحسب، وإنما يهدف، فوق ذلك كله، إلى الحث والتحريض. وبهذا المفهوم الأخير، تشمله نظرية: الكلام فعل، أو التداولية، وتعني هذه النظرية: أن التحدث يقصد به تبادل الأخبار، وفي الوقت نفسه، يهدف إلى تغيير وضع المتلقي، وتغيير نظام معتقداته، أو تغيير موقفه السلوكي"⁹.

كما يحدد القصد أو القصديّة أو المقصدية " كيفية التعبير والغرض المتوخى، وهي البوصلة التي توجه تلك العناصر، وتجعلها تتضام وتتضافر وتتجه إلى مقصد عام. فالمقصدية تحدد اختيار الوزن، والألفاظ الملائمة، وتركيبها بطرق معينة لتؤدي المعنى العام المتوخى. ولذلك، نجد البحر الواحد ينظم فيه الشاعر مدحا أو فخرا أو هجاء أو رثاء... فالمقصد يتحكم في نسج القصيدة أو المقطوعة، بل في البيت أو شطره مبنى ومعنى."¹⁰

وهكذا، لا توظف لغة النص الأدبي بشكل عشوائي وفوضوي، بل تزخر بمجموعة من الدلالات السياقية والتداولية والحجاجية إقناعا وتأثيرا. فكل ما في النص يدل ويحيل ويحمل وظائف سياقية متنوعة، سواء أكانت نصية داخلية أم مقامية خارجية.

المطلب الثالث: النص الأدبي إبلاغ تواصلية

ترى المقاربة التواصلية أن النص الأدبي يرتكز على مجموعة من الوظائف وأهمها الوظيفة التواصلية. وخير من يمثل هذا التيار التواصلية الذي يرى النص الأدبي إبلاغا وتوصلا، نذكر: رومان جاكبسون الذي تحدث، في مقاربتة التواصلية الوظيفية، عن ستة عناصر في عملية التواصل: المرسل ووظيفته انفعالية، والمرسل إليه ووظيفته تأثيرية، والرسالة ووظيفتها جمالية، والمرجع ووظيفته مرجعية، والقناة ووظيفتها

⁹ - محمد مفتاح: في سيمياء الشعر القديم، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب، الطبعة الأولى سنة 1989م، ص: 55.

¹⁰ - محمد مفتاح: في سيمياء الشعر القديم، ص: 53.

حفاظية وتواصلية، واللغة ووظيفتها وصفية تأويلية وتفسيرية. وقد تأثر جاكسون في هذه الخطاظة التواصلية بأعمال فرديناند دوسوسير، وأعمال الفيلسوف المنطقي اللغوي جون أوسطين.

وهناك من يزيد الوظيفة السابعة للخطاب اللساني، وهي الوظيفة الأيقونية كما عند السيميائي ترنس هوكس بعد ظهور كتابات جاك دريدا، وانبثاق السيميوطيقا التواصلية. كما يضيف عبد الله الغدامي الوظيفة الثقافية في إطار النقد الثقافي الذي يدافع عنه عربيا. أما هاليداي التداولي، فيركز على ثلاث وظائف للغة: الوظيفة التمثيلية (الإحالة على العالم الداخلي والخارجي للذات المتكلمة)، والوظيفة التعالقية (اتخاذ دور من الأدوار الاجتماعية بالنسبة للمخاطب كدور المخبر، ودور السائل، ودور الأمر)، والوظيفة النصية (تنظيم الخطاب حسب مقتضيات مقام إنجازه). وهذه الوظائف الثلاث مستقلة، على الرغم من كونها تصب كلها في وظيفة واحدة هي وظيفة التواصل.

وتأسيسا على ماسبق، يصنف فان ديك المعلومات إلى ثلاثة أقسام: معلومات عامة ترتبط بالعالم أو بأي عالم ممكن، والمعلومات الموقفية التي ترتبط بما يتضمنه الموقف الذي يتم فيه التواصل. والمعلومات السياقية المستقاة من الخطاب المتبادل سلفا بين الشخصين المتواصلين، " ويتم تغيير المعلومات التداولية إما بالنظر إلى العلاقة القائمة بين المتكلم والمخاطب (تواصل علاقي)، أو بالنظر في فحوى الخطاب ذاته. في هذه الحالة الثانية، يكون القصد من الخطاب حمل المخاطب على القيام بفعل ما (تواصل توجيهي)، سواء أكان الفعل المطلوب عملا (تواصل أمري)، أم قولاً (تواصل استفهامي)، كما يكون القصد منه الإخبار عن شيء (تواصل إخباري)، أو التعبير عن إحساس (تواصل تعبيرية)، أو استثارة إحساس (تواصل استثنائي)."¹¹

هذا، ويذكر بوبر (Popper) أربع وظائف أساسية للغة الإنسانية، وهي: الوظيفة التعبيرية (تعبير الشخص عن حالته الداخلية)، والوظيفة الإشارية (تبليغ الشخص الآخرين بمعلومات عن حالته الداخلية)، والوظيفة

¹¹ - أحمد المتوكل: اللسانيات الوظيفية، ص: 55-56.

الوصفية(وصف أشياء العالم الخارجي المحيط به) ، والوظيفة الحجاجية (تقييم الحجج وتبريرها) ¹² .

وعليه، إذا أردنا - مثلا- دراسة عنوان نص أو خطاب ما في ضوء تواصلية رومان جاكبسون، فالعنوان كما هو - معلوم - عبارة عن رسالة ، وهذه الرسالة يتبادلها المرسل و المرسل إليه ، فيساهمان في التواصل المعرفي و الجمالي، وهذه الرسالة مسننة بشفرة لغوية، يفككها المستقبل، ويؤولها بلغته الواصفة، وهذه الرسالة ذات الوظيفة الشاعرية أو الجمالية ترسل عبر قناة وظيفتها الحفاظ على الاتصال. وفي هذا الصدد، يمكن الاستفادة من وظائف اللغة كما أرساها رومان جاكبسون (R.Jacobson). فللعنوان وظيفة مرجعية تركز على موضوع الرسالة باعتباره مرجعا وواقعا أساسيا تعبر عنه الرسالة. وهذه الوظيفة موضوعية لا وجود للذاتية فيها نظرا لوجود الملاحظة الواقعية، والنقل الصحيح، والانعكاس المباشر. وهناك الوظيفة الانفعالية التعبيرية التي تحدد العلاقات الموجودة بين المرسل والرسالة. وتحمل هذه الوظيفة في طبيعتها انفعالات ذاتية، وتتضمن قيما ومواقف عاطفية و مشاعر وإحساسات، يسقطها المتكلم على موضوع الرسالة المرجعي. وهناك أيضا الوظيفة التأثيرية التي تقوم على تحديد العلاقات الموجودة بين المرسل والمتلقي، حيث يتم تحريض المتلقي، وإثارة انتباهه، وإيقاظه عبر الترغيب و الترهيب، وهذه الوظيفة ذاتية. وهناك الوظيفة الجمالية أو الشعرية التي تحدد العلاقات الموجودة بين الرسالة و ذاتها، وتتحقق هذه الوظيفة أثناء إسقاط المحور الاختياري على المحور التركيبي، وكذلك عندما يتحقق الانتهاك والانزياح المقصود. وتتسم هذه الوظيفة بالبعد الفني والجمالي الاتصالية للقناة العنوانية، إذ تهدف هذه الوظيفة إلى تأكيد التواصل، واستمرارية الإبلاغ، وتثبيتته أو إيقافه، والحفاظ على نبرة الحديث والكلام المتبادل بين الطرفين. علاوة على الوظيفة الوصفية المتعلقة باللغة، وتهدف هذه الوظيفة إلى تفكيك الشفرة اللغوية بعد تسنينها من قبل المرسل. والهدف من السنن هو وصف الرسالة لغويا وتأويلها، مع الاستعانة بالمعجم أو القواعد اللغوية و النحوية المشتركة بين المتكلم

¹² - انظر: عبد الهادي بن ظافر الهشري: إستراتيجية الخطاب، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى ، سنة 2004م، ص:14.

و المرسل إليه. ونضيف الوظيفة البصرية أو الأيقونية كما عند ترنس هوكس¹³ التي تهدف إلى تفسير دلالة الأشكال البصرية والألوان والخطوط الأيقونية بغية البحث عن المماثلة أو المشابهة بين العلامات البصرية ومرجعها الإحالي. ومن باب التنبيه، فنحن ، هنا، نحتكم إلى القيمة المهيمنة (La valeur dominante)، كما حددها رومان جاكبسون، لأن العنوان في نص ما قد تغلب عليه وظيفة معينة دون أخرى، فكل الوظائف التي حددناها سالفًا متمازجة، إذ قد نعانيها مختلطة بنسب متفاوتة في رسالة واحدة، حيث تكون الوظيفة الواحدة منها غالبية على الوظائف الأخرى حسب نمط الاتصال .

المطلب الرابع: النص الأدبي تخاطب وتبادل

من المعروف أن النظرية التخاطبية جاءت تطويراً للنظرية التواصلية الإبلاغية التي عجزت عن تفسير مجموعة من القضايا اللغوية بشكل جيد؛ لأنها كانت تتعامل مع التخاطب في معزل عن سياقها الفعلي والإنجازي. ويعني هذا أن " الدراسات التخاطبية تعد امتداداً ، واستكمالاً لجهود المدرسة الوظيفية، وتأتي هذه الدراسات نتيجة طبيعة لشعور المهتمين بها بإخفاق النموذج التقليدي للتخاطب في تقديم تفسير ناجح لعملية التخاطب. ويمكن تلخيص أوجه الإخفاق فيه في كونه يتعامل مع التخاطب في عزلة عن السياقات الفعلية التي تستخدم فيها اللغة، ويصعب عملية التخاطب بطابع مثالي تتجاهل فيه قضايا اللبس، والخروج عن المواضيع اللغوية، وقصر وظائف اللغة على عملية الإبلاغ، وإهمال الأصول التخاطبية المفسرة لمقاصد المتكلمين." ¹⁴

وتذهب النظرية التخاطبية إلى أن النص الأدبي تخاطب وتداول يجمع بين أطراف ثلاثة هي: المرسل المتكلم الذي قد يكون كاتباً أو مؤلفاً أو سارداً أو شخيسة ، والمرسل إليه الذي قد يكون شخصاً مخاطباً، كأن يكون قارئاً أو متلقياً أو شخصية مقابلة للشخصية المتكلمة. وهناك العنصر

¹³ - ترنس هوكس: (مدخل إلى السيمياء) ، مجلة بيت الحكمة، المغرب، العدد5، السنة الثانية، سنة 1987م، ص:120؛

¹⁴ - محمد محمد يونس علي: مدخل إلى اللسانيات، ص:98.

الثالث الذي يتمثل في الخطاب التداولي أو الرسالة المرسله. وبهذا، تكون هذه النظرية قد مهدت لميلاد القارىء أو المتلقي أو المتقبل. وتكون، من جهة أخرى، قد أعطت نقطة انطلاق للنظريات التي تعنى بالقارىء المستقبل، كجمالية التلقي ليوس وآيزر، وغيرها من النظريات. وهكذا، فالنظرية التخاطبية تستوجب وجود ثلاثة أطراف: المرسل (الباث-المتكلم- المتلفظ-المرسل - المتحدث-المبدع)، والرسالة(النص-الأدب-الخطاب- التلفظ...)، والمتلقي(القارىء-المرسل إليه-المستقبل-المتلفظ إليه). ومن ثم، فالباث أو المرسل هو الذي يسنن رسالة ما، سواء أكانت ذهنية أم وجدانية، ليرسلها إلى المتلقي ليفككها في ضوء سنن مشترك أو لغة يعرفها كل من المرسل والمرسل إليه. وفي هذا النطاق، يقول الباحث التونسي حسين الواد: "لقد اعتنت نظرية التخاطب، على وجه الخصوص، بمرور البلاغ من الباث إلى المتقبل عبر قنوات الاتصال، ورأت أن الباث يسجل بلاغه في الكلام حسب قواعد في التسجيل تواضع عليها الناس، وأن المتقبل يعتمد إلى فك رموز الكلام ليحصل على البلاغ منها. إلا أن إيصال البلاغ، في الغالب، مغامرة لا تتم دائما بسلام. فمهما بذل الباث من جهد في تفادي عناصر التضليل والتحريف وسوء الفهم، فإن بلاغه لا بد من أن يتأثر بها. ولقد كان لهذه النظرية أثر بارز في درس الآثار الأدبية، إذ عمدت طائفة من الباحثين إلى جعل المؤلف باثا والقارىء متقبلا والأثر يحمل بلاغا. إلا أنهم رأوا التخاطب في الأدب يختلف كثيرا عن التخاطب العادي، فمنتهى أمل الباث في التخاطب العادي أن يصل بلاغه سالما من العثرات إلى المتقبل. والذي يساعده على ذلك ارتباط البلاغ عادة بالمرجع أو السياق يحضر القارىء أثناء القراءة، فيتجنب به الوقوع في الخطأ. إن الخطاب العادي يقوم في أساسه على الوظيفة المرجعية. أما التخاطب الجمالي في الآثار الأدبية فلا وظيفة مرجعية له. وبالتالي، فإن العثرات فيه كثيرة والعقبات كأداء. ومن هنا، حلت فيه الوظيفة الأدبية محل الوظيفة المرجعية في التخاطب العادي. لذلك، كان الغموض في الأثر الأدبي، وكان التفاف الكلام فيه على نفسه أشد ما يكون." ¹⁵

¹⁵ - حسين الواد: في مناهج الدراسات الأدبية، منشورات الجامعة، المغرب، الطبعة الثانية، سنة 1985م، ص: 74-75.

وإذا كانت الملفوظات التخاطبية العادية لاتثير مشاكل على مستوى التداول والتواصل والتخاطب، فإن النص الأدبي باعتباره ظاهرة تخاطبية بين المتكلم والمخاطب يثير عدة صعوبات بسبب الغموض، والانزياح، والتضمين، والتلميح، والترميز، والأسطرة. لذا، فعلى المتلقي أن يبذل مجهودا لفك الخطاب الأدبي عن طريق عملية التأويل، وفك الرموز. وفي هذا النطاق، يقول حسين الواد مرة أخرى: " والمهم في نظرية التخاطب أنها أسلمت الأخذين بها إلى الإقرار بالغموض في الآثار الأدبية ميزة من طبيعتها. ولأن التخاطب في الأدب غامض، ولأن الغموض ظاهرة ملازمة له، توقع الباحث (أي الأديب) من القارئ أن يقوم بالتأويل أثناء القراءة، وانتظر منه أن يثري البلاغ الأدبي بإضافات شخصية من عنده يسلطها عليه. ولأن التخاطب الأدبي غامض في أساسه، عمد القارئ، كلما واجه نصا أدبيا، إلى امتحانه، فاختر قدراته على تحمل المعاني الإضافية بموجب ماركب فيه من مواطن غامضة تتحمل التأويل. ومن هنا، كان الأثر الأدبي، في نظرية التخاطب، أثرا مفتوحا يستدعي التأويلات العديدة، ويتقبلها، فيزداد بها ثراء على ثرائه."¹⁶

هذا، وينبني التخاطب بين أطراف التكلم على مجموعة من مبادئ المحادثة والتخاطب، وقد جمعها فيلسوف اللغة الأمريكي بول كرايس هربرت (Paul Grice Herber) في قاعدة التعاون الذي يقتضي أن المتكلمين متعاونون في تسهيل عملية التكلم والتخاطب. وتتفرع قاعدة التعاون إلى مجموعة من المبادئ منها:

- 1- **مبدأ الكم:** تكلم على قدر الحاجة فقط، ولا تتجاوز بإفادتك القدر المطلوب. ويعني هذا الابتعاد عن الاستقصاء المفصل، وتفادي الإطناب والاستطراد في الكلام أو التخاطب.
- 2- **مبدأ الكيف:** لاتقل ما تعتقد كذبه، ولا تقل ما يعوزك فيه دليل بين. ويسمى هذا المبدأ أيضا بمبدأ الصدق.
- 3- **مبدأ الأسلوب:** تجنب إبهام التعبير، وتجنب اللبس، وأوجز كلامك، بحيث تتجنب الإطناب الزائد، وليكن كلامك أيضا كلاما مرتبا.

¹⁶ - حسين الواد: نفسه، ص: 74-75.

4- **مبدأ المناسبة:** ليكن كلامك مناسباً لسياق الحال، فالكلام هو مراعاة مقتضى الحال، أو مناسبة المقال للمقام.¹⁷ بيد أن نظرية كرايس خضعت لنوع من التطوير والتعديل والنقصان والإضافة " وذلك بفضل جهود باحثين في مجال علم التخاطب، ومن بينهم هارنيش (Harnish) الذي أضاف بعض التعديلات منها: الجمع بين مبادئ الكم والكيف، وصادوك (Sadock) الذي أشار إلى إمكان تقليص بعض مبادئ كرايس، وأبرز بعض الثغرات في معيار الإبطال الذي صممه كرايس لاكتشاف المفاهيم الخطابية المولدة نتيجة انتهاك أحد مبادئ المحادثة المشار إليها سابقاً. وتمكن صادوك من إضافة معايير أخرى لاختبار تلك المفاهيم، غير أن أقوى التحديات جاءت من ويلسون (Wilson) وسبيرير (Sperber) اللذين شككا في مبادئ كرايس، واستنتجا من ذلك مبدأ المناسبة الذي جعل منه أساساً لنظرية سميها بنظرية المناسبة.¹⁸

ويعني هذا كله أن الناقد التداولي يمكن أن يتعامل مع النص الأدبي أو الخطاب الإبداعي باعتباره بنية تخاطبية وتبادلية بين طرفين ضمن سياق عام، أو سياق موقفي، أو سياق نصي، مع تحديد نوع التخاطب والتبادل التداولي.

المطلب الخامس: النص الأدبي تلفظ في سياق

تهدف المقاربة التلفظية إلى دراسة الخطاب الإبداعي والأدبي في ضوء المعينات الإشارية، أو قراءتها بواسطة القرائن اللغوية، أو مقاربتها عبر المؤشرات التلفظية التي تحدد سياق الملفوظ اللغوي واللساني. وهذه المعينات هي ضمائر الشخوص، وأسماء الإشارة، وظروف المكان والزمان، وصيغ القرابة، والصيغ الانفعالية الذاتية. ومن ثم، تنبني المقاربة القرائنية أو المقاربة "التلفظية" على دراسة سياق التلفظ، وتحديد

¹⁷ - See H.Grice. (Logic and conversation), In Steven David (ed), **Pragmatics: A reader**, New York, Oxford University press, 1991, pp: 305-315.

¹⁸ - محمد محمد يونس علي: نفسه، ص: 100.

أطراف التواصل اللغوي، بالتركيز على ثلاثة مبادئ منهجية هي: البنية، والدلالة، والوظيفة. ومن المعلوم أيضا أن هذه المقاربة القرآنية أو الإشارية تمتح آلياتها من اللسانيات الخارجية ذات البعد المرجعي، مع الانفتاح بشكل من الأشكال على التداوليات والسيميوطيقا النصية والخطابية.

وتطلق عدة مصطلحات ومفاهيم على المعينات (déictiques) في الدراسات الغربية من بينها: القرائن المدجمة أو الواصلة (Embrayeurs) كما عند رومان جاكبسون (Roman Jakobson)، أو الوحدة الإشارية (Index) عند شارل بيرس (Peirce)، أو التعبير الإشاري كما لدى بار هيليل (Bar- Hillel)، أو المؤشر (indicateur)، أو دليل التلفظ (indice de l'énonciation)، أو القرائن الإشارية (schifters) باللغة الإنجليزية...

وغالبا، ما يستعمل مصطلح المعينات (déictiques) مرادفا لمصطلح الواصل (Embrayeurs)، على الرغم من كون المعينات مصطلحا عاما له دلالات خاصة ومتميزة عن مصطلح الواصل المرتبط بالسياق فقط؛ لأن مصطلح المعينات يشمل أطراف التلفظ، والسياق التواصلية للمتكلمين. كما يرتبط بالاستعمال الشفوي والتلفظي للخطاب، مع تشغيل الحركات والإشارات وإيماءات التعيين، وتوظيف وحدات التأشير الدالة على التعيين المكاني والزمني.

ومن المعلوم أن كلمة المعينات (déictiques) جمع لكلمة مفردة هي المعين الإشاري (déictique). ومن ثم، لا تأخذ هذه المعينات والقرائن الإشارية معناها، بما فيها: الضمائر، وأسماء الإشارة، وظروف الزمان والمكان، والصيغ الانفعالية، وأسماء القرابة... إلا داخل سياق التلفظ، والتواصل، وفعل القول.

هذا، ويراد بالمعينات (déictiques) - لغة - الإشارة والتحديد والتعيين والعرض والتمثيل والتبيين والتأشير، وهو مشتق من كلمة "ديكتيكوس/deiktikos" اليونانية. ويراد به - اصطلاحا - مجموعة من المرجعيات الإحالية المبنية على شروط التلفظ الخاصة وظروفه، كهوية المتكلم، ومكان التلفظ وزمانه (أنا- الآن-هنا). ويعني هذا أن كل ملفوظ يتكون من

مرسل ومستقبل ومكان التلفظ وزمانه. وهذه المؤشرات السياقية هي التي تسمى بالمعينات أو القرائن السياقية. وبتعبير آخر، فالمعينات هي مجموعة من العناصر اللسانية التي تحيل على السياق المكاني والزمني لعملية التلفظ الجارية بين المتكلمين أو المتحدثين أو المتلفظين.

إذاً، يقصد بالمعينات أو القرائن الإشارية تلك الكلمات أو التعابير أو الروابط أو الوحدات اللغوية التي ترد في ملفوظ كتابي أو شفوي، تحدد الظروف الخاصة للتلفظ، وتبين الشروط المميزة لفعل القول ضمن سياق تواصل معين. ومن ثم، لا يتحدد مرجع هذه القرائن والمعينات الإشارية دلاليا وإحاليا إلا بوجود المتكلمين في وضعية التلفظ والتواصل المتبادل.

هذا، وتحيل المعينات على أطراف التواصل، من: متكلم ومستقبل، ومرسل ومرسل إليه، بالإضافة إلى الضمائر المنفصلة والمتصلة (أنا-أنت-نحن-أنتم...)، وأدوات التملك المتعلقة بضمير المتكلم وضمير المخاطب (كتابي، كتابك، كتابنا، كتابكم...)، وأسماء الإشارة (هذا-هذه-ذلك-تلك...)، وظروف الزمان والمكان (هنا-هناك-اليوم-الآن-البارحة-في يومين، هذا الصباح، إلخ...)، فضلا عن كل المؤشرات اللغوية التي تعين الشخوص والأشياء من قبل المتكلم.

ومن هنا، فالمعينات هي وحدات التلفظ ومؤشراته، تساهم في تحيين فعل التلفظ إنجازا وقولا وفعلا، عن طريق الضمائر، وأسماء الإشارة، وظروف المكان والزمان. ومن ثم، فالمعينات هي التي تعنى بتحديد مرجع الوحدات اللغوية حين عملية التلفظ والتواصل. ويحيل هذا المرجع على واقعية لسانية خارجية تسيج علاقة الدال بالمدلول. ومن ثم، لا يمكن أن يتحقق معنى الشيء، وتتعين هويته، إلا بمعرفة ظروف التواصل وشروطه المميزة. فإذا أخذنا على سبيل المثال هذا الملفوظ اللغوي: "سأذهب لأنام"، إذا كنا نعرف بأن أحمد هو الذي قال هذه الجملة، فضمير المتكلم يعود عليه إحالة وسياقا ومقاما أي: إن ضمير المتكلم هو أحمد. وإذا لم نكن نعرف متلفظ هذه الجملة، فإننا لن نعرف بتاتا على من يعود ضمير المتكلم. وهكذا، يتبين لنا، بأن الضمائر تتحدد دلالة وإحالة ومرجعا بوجود أطراف التلفظ والتواصل.

ويرى إميل بنيفنست (Émile Benveniste) في كتابه (قضايا اللسانيات العامة) بأن المعينات تحدد اللحظة المكانية والزمانية الآنية أثناء لحظة

التلفظ بضمير التكلم¹⁹. وإذا تأملنا هذه الجملة على سبيل المثال: "أسماء قالت: سأسافر هناك غدا"، فأسماء مكون اسمي يحيل على المتكلم، لكنه ليس معينا؛ لأن المكون الاسمي لايشكل معينا إشاريا. في حين، يحيل ضمير المتكلم على المتكلم "أسماء"، وتحيل كلمة " هناك" على سياق تواصل مكاني، بينما تحيل كلمة " غدا" على سياق تواصل زمني. ومن هنا، لا بد من استحضار السياق المكاني والزمني والشخصي لتحديد المعينات والمؤشرات اللغوية. ومن هنا، يستلزم الحديث عن المعينات وجود أطراف التواصل، وفعل التلفظ، والمعينات، ووجود السياق.

أطراف التواصل	فعل التلفظ	المعينات	السياق
المرسل والمرسل إليه، أو المتكلم والمستقبل.	الملفوظات والعبارات والجمل والكلمات المكتوبة الشفوية.	الوحدات اللغوية، ضمائر، وأسماء، الإشارة، وأدوات التملك، وظروف المكان والزمان.	- السياق التواصل الذي يتكون من سياقات فرعية، كالسياق الشخصي، والسياق المكاني، والسياق الزمني.

و يلاحظ أن المعينات ترتبط دائما في علاقة جدلية بلحظات الخطاب الفورية والآنية لفعل القول، وتتعلق كذلك بلحظات فعل التلفظ (le discours direct)، لكن حينما يتحول الخطاب أو الحوار المباشر إلى سرد أو حكي (le récit)، أو يتخذ صيغة الكلام المنقول (le discours indirect). فهنا، لا يمكن الحديث عن المعينات. وللتوضيح أكثر، حينما

¹⁹ - Émile Benveniste: Problèmes de linguistique générale 1, ED, Gallimard, Paris, 1966, p.253.

يكون هناك حوار مباشر يكون الحديث - بطبيعة الحال- عن المعينات كما في هذا المثال:

" - أسماء: سأسافر غدا إلى مراكش.

- لمياء: أنا سأسافر معك غدا هناك إذا وافق والدي."

نلاحظ في هذا الحوار أو الخطاب المباشر مجموعة من المعينات المتعلقة بأطراف التواصل (أسماء ولمياء)، ووجود ضمائر الشخوص (ضمير التكلم)، ومعينات المكان (هناك)، ومعينات الزمان (غدا). في حين، إذا حولنا هاتين الجملتين الحواريتين إلى سرد محكي أو خطاب منقول، فلا يمكن إطلاقا الحديث عن المعينات الإشارية؛ لأن المعينات تختفي حينما تتحول إلى وحدات لغوية في لحظة الغياب، ولا تشير إطلاقا إلى لحظة التكلم والقول والتلفظ: " قالت أسماء بأنها ستسافر إلى مراكش، وردت عليها لمياء بأنها ستفعل مثلها إذا وافق والدها".

ونستخلص من هذا أن المعينات تظهر حضوريا مع الحوار الداخلي (المنولوج) والحوار المباشر (الديالوج)، وتختفي غيابيا مع الخطاب المنقول أو المحكي السردى.

وهكذا، فالمعينات هي الوحدات اللسانية التي لها وظيفة دلالية ومرجعية، وهذه الوحدات اللسانية هي مجموعة من العناصر التكوينية لوضعية التواصل. وتتضمن المعينات أو التعبيرات الإشارية (deictiques)، في المنظور اللساني واللغوي الحديث، كل ما يحيل على وضعيات التكلم والتخاطب والتواصل والتبليغ والتبادل بين المتكلم والمخاطب. وترتبط المعينات الإشارية بـ:

- الدور الذي يقوم به عاملو القول في عملية التلفظ.

- الوضع المكاني- الزماني للمتكلم والمخاطب على حد سواء²⁰.

ويعني هذا أن المعينات هي التي تتضمن إحالة خاصة ومتميزة، وهذه الإحالة قد تكون مطلقة عامة، أو إحالة سياقية خاصة، أو إحالة إشارية تعيينية. وللتوضيح أكثر نورد هذه الأمثلة :

◆ يقطن أحمد مدينة الرباط.(إحالة مطلقة).

²⁰ -C.K.Orecchioni: L'énonciation de la subjectivité dans le langage, Paris, Armand Colin, 1980, p:36;

◆ يسكن علي في جنوب الرباط. (إحالة سياقية)
 ◆ يقطن علي هنا. (إحالة إشارية أو تعيينية)
 ◆ سيسافر علي في 24 من شهر دجنبر. (إحالة مطلقة)
 ◆ سيسافر علي أمسية العيد. (إحالة سياقية)
 ◆ سيسافر علي غدا. (إحالة إشارية أو تعيينية)

وثمة مجموعة من الدارسين الغربيين الذين اهتموا بالمعينات والقرائن الإشارية في ضوء مقاربات متنوعة: نفسية، واجتماعية، وأنتروبولوجية، وبلاغية، وأسلوبية، ولسانية، وسيميائية، وتداولية...، منهم: إميل بنيفنست في كتابه (قضايا اللسانيات العامة)²¹، وكاترين كيربرا أوريكشيوني في كتابها (ملفوظ الذاتية في اللغة)²²، وكريماص في كتابه (موباسان: سيميوطيقا النص: تمارين تطبيقية)²³، وفيليب هامون في كتابه (سيميولوجية الشخصيات)²⁴، وتزيتيفان تودوروف في كتابه (الشعرية)²⁵، إلى جانب بول ريكور (Paul Ricoeur)²⁶، ورومان جاكسون²⁷، وييسبيرسين (Jespersen)، وكلود ليفي شتراوس²⁸، وفينريش (Weinrich)²⁹، وجان بياجيه (Jean Piaget)، وشارل بالي (Bally)³⁰، وشارل فيلمور (Fillmore)³¹، وفونديرليش (Wunderlich)³²، وآخرين...

²¹ - Benveniste, E: Problèmes de linguistique générale2, ED, Gallimard, Paris, 1974.

²² -C.K.Orecchioni: L'énonciation de la subjectivité dans le langage, Paris, Armand Colin, 1980.

²³ -Greimas: Maupassant, la sémiotique du texte: exercices pratiques, éditions du Seuil, Paris 1976, p:8-263.

²⁴ - فيليب هامون: سيميولوجية الشخصيات، ترجمة: سعيد بنكراد، دار الكلام، الرباط، الطبعة الأولى سنة 1990م.

²⁵ - تزفيتان تودوروف: الشعرية، ترجمة: شكري المبخوت ورجاء بن سلامة، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، الطبعة الأولى سنة 1987م.

²⁶ - Paul Ricoer: La métaphore vive. Seuil, Paris, 1975, p.98.

²⁷ - R.Jakobson: Essais de linguistique générale, Minuit, Paris, 1963.

²⁸ - Levi-Strauss: Anthropologie structurale, Plon, Paris, 1958.

²⁹ -Weinrich Harold: Le temps, Seuil, Paris, 1973.

³⁰ - Bally:(Les notions grammaticales d'absolu et de relief), In: essais sur le langage, Minuit, Paris, 1969, pp:189-204.

ومن الدارسين العرب الذين اهتموا بالمعينات الإشارية، لابد من ذكر محمد مفتاح في كتابيه (في سيمياء الشعر القديم)³³ و(تحليل الخطاب الشعري)³⁴، وعبد المجيد نوسي في كتابه(التحليل السيميائي للخطاب الروائي)³⁵، ...

وبناء على ما سبق، يقصد بالمعينات أسماء الإشارة، والضمائر المتصلة والمنفصلة، وظروف الزمان والمكان. وبتعبير آخر، ما يشكل صيغة: أنا، الآن، هنا. كما يمكن الحديث أيضا عن ألفاظ القرابة (أبي وأمي وخالي...)، وصيغ الانفعال و التعجب، وآليات الحكم والتقويم الذاتي.

ويمكن الحديث بصفة عامة عن معينات المتكلم أو المتلفظ، ومعينات المستقبل أو المخاطب أو المرسل إليه أو المتلفظ إليه. فمن المعروف أن ضمير المتكلم يحدد هوية المتكلم، ويعين حضوره ووجوده سياقيا ومرجعيا حين عملية التلفظ والتواصل. ويتحدد ضمير المتكلم في صيغة المفرد " أنا" أو صيغة الجمع "نحن" عبر الطرائق التالية:

◆ استعمال الضمائر المنفصلة: " غدا، سأسافر."، و" غدا سنسافر".
◆ الضمائر المتصلة المرتبطة بالفعل: "خرجت مبكرا"، و"ذهبنا هناك مسرعين".

◆ أدوات التملك: " كتابي"، و" كتابنا".

◆ صيغ العلاقة والقرابة والتفاعل الوجداني المرتبطة ضمريا بضمير المتكلم : " التقيت بصديق"، و"هاتفني الجد"، و" الرضيع مريض"، وتحيل هذه الملفوظات الضمنية على الجمل التالية: "التقيت بصديقي"، و" هاتفني جدي"، و" رضيعنا مريض".

³¹ - Fillmore :(Deictic categories in the semantics of come), Foundations of language 2, 1966, pp: 219-227.

³² - Wunderlich, Dieter: (Pragmatique, situation d'énonciation et deixis), Langages, 26, juin 1972, pp:34-58.

³³ - محمد مفتاح: في سيمياء الشعر القديم، دار الثقافة، الدار البيضاء، الطبعة الأولى سنة 1989م.

³⁴ - محمد مفتاح: تحليل الخطاب الشعري، ص:151.

³⁵ - عبد المجيد نوسي: التحليل السيميائي للخطاب الروائي، شركة النشر والتوزيع المدارس، الدار البيضاء، المغرب، الطبعة الأولى سنة 2002م.

♦ صيغ الأمر والاستفهام والتوبيخ: " اخبرني. كم الساعة؟ بدأ علي في البكاء".

♦ العلامات الدالة على عواطف المتلفظ وانفعالاته: وتسمى كذلك بموجهات الخطاب(modalisateurs du discours)، حيث تسمح للمتكلم أو المتلفظ بالتعبير عن أحاسيسه وعواطفه الوجدانية، وإصدار أحكامه التقويمية إيجابا أو سلبا. وفي هذا السياق، يمكن الحديث عن الذاتية والموضوعية، مثل:

- زرت فيلاه على شاطئ البحر.

- زرت كوخه على شاطئ البحر.

نستنتج، من خلال هذين المثالين، أن هناك تقويما سلبيا قديما (الكوخ)، وتقويما إيجابيا حول مكان الإقامة (الفيل).

وتساهم صيغة الافتراض في تأكيد الحضور الذاتي، مثل: " يمكن أن تكون أسماء مريضة"، أو استعمال صيغة الشك " لأعتقد ذلك!".

♦ صيغ الانفعال والتفجع والتحسر والتأثر والتعجب: " أه!، و" كم هو جميل هذا المكان!..

♦ الموجهات: مثل " بدون شك"، و" حسب رأيي"، و" في منظوري"...

ومن جهة أخرى، يتحدد وجود المستقبل عبر الطرائق الشكلية التالية:

♦ ضمائر المخاطب: أنت، وأنتم، ونحن(أنا، وأنت)...

♦ الضمائر المتصلة بالفعل: كتبت- كتبتكم...

♦ ضمائر التملك: كتابك، كتابكم،...

♦ ألفاظ القرابة والعلاقات الحميمة: " صديق يريد رؤيتك"، " هاتفنا

الأم"، " وذلك من أجل أن تقول: " صديقك يريد ريتك"، و" هاتفنا أمنا(أنا، وأنت)"

♦ صيغ الأمر والاستفهام والتوبيخ: " اسمع! أين هي النظارات؟ لمياء، سأذهب لأنام".

أما فيما يخص المعينات الفضائية، فنستحضر: هنا، هناك، ورائي، يساري، قربي،...

أما المعينات الزمانية، فهي: الآن، اليوم، غدا، البارحة، في هذا الشهر، في هذه اللحظة...

وفيما يتعلق بأسماء الإشارة، فنذكر: هذا، هذه، ذلك، تلك، هؤلاء، أولئك...

ويمكن الحديث كذلك عن أفعال الحركة والانتقال، مثل: جاء- ذهب- انطلق- سافر- ارتحل: "جاء سمير ليساعدني". أي: تشير إلى الوصول إلى منطقة التلفظ أو مغادرتها.

ويمكن اعتبار كذلك بعض الأزمنة الفعلية من بين المعينات كالحاضر: أشتغل، ألعب، تلعب...

ومن جهة أخرى، يمكن الحديث عن نوعين من المعينات والقرائن الإشارية، فمنها ما يتعلق بالعوامل أو أطراف التلفظ والقول (actants)، وهناك ما يتعلق بظروف التواصل والتلفظ والقول والكلام (circonstants). فمن ثم، تحيل معينات العوامل على المرسل والمرسل إليه، أو المتكلم والمستقبل، وتسمى بالمعينات الذاتية (embrayeurs subjectifs)، أو المعينات الشخصية أو الضمائية (embrayeurs personnels). أما المعينات الثانية، فتحيل على ظروف التلفظ وسياقه التواصلية، ويمكن تقسيمها كذلك إلى معينات مكانية (embrayeurs spatiaux) أو معينات فضائية (embrayeurs spatiaux)، ومعينات زمانية (embrayeurs temporels).

أقسام المعينات	
المعينات الذاتية	المعينات السياقية
عوامل التلفظ: المرسل إليه، أو المتكلم والمستقبل.	المعينات المكانية أو المعينات الفضائية.
المرسل	المعينات الزمانية.

علاوة على ذلك، تحمل المعينات والتعبيرات الإشارية في طياتها ووظائف عدة، يمكن حصرها في الوظيفة المرجعية، حيث تحدد هذه العناصر الخطابية، وهذه الوحدات اللسانية، سياق التواصل والتلفظ، سواء أكان سياقاً شخصياً أم سياقاً مكانياً أم سياقاً زمانياً. فلا يمكن دراسة المعنى بدون تحديد المرجع. وفي هذا الصدد، تقول أوريكوشيونى: "يستحيل في بعض الأحيان الوصف المناسب للأداء الكلامي دون الاهتمام بمحيطها غير

الكلامي بشكل عام. لا يمكن دراسة المعنى دون تحديد صلته بالمرجع؛ ولا يمكن تحليل القدرة اللسانية بتفريغ القدرة الإيديولوجية التي تنتظم عليها، لا يمكننا وصف الإرسالية دون الاهتمام بالمقام الذي تأسس عليه، والنتائج التي تهدف إليها.³⁶

كما تؤدي هذه المعينات والقرائن الإشارية وظيفية التعيين والتأشير، والتركيز على الإحالة المقامية والنصية، وتحديد الوضعية المكانية والزمانية، وتبيان المشار إليه قربا وبعدا، وتأكيد وظيفة الحضور والغياب، والتنبيه إلى الوظيفة الذاتية والموضوعية، ورصد وظيفة الاندماج والاندماج، إلى جانب تحديد الوظائف الدلالية والمرجعية والتداولية واللسانية. ويعني هذا حسب بنفينست أن "الضمير ليس إلا شكلا فارغا، إذا كان خارج الخطاب الفعال، ولا يرتبط بأي موضوع أو مفهوم أو تصور"³⁷. ويرى بول ريكور أيضا بأن الضمائر: "هي بالضبط لا دالة، الكلمة "أنا" ليست لها دلالة في ذاتها... "أنا" هو الذي، في جملة، يمكن أن ينطبق على نفسه أنا على أنه هو الذي يتكلم؛ إذاً، الضمير هو أساسا اشتغال الخطاب، ولا يحمل معنى إلا حينما يتكلم شخص ويعين نفسه بقوله أنا."³⁸

وبتعبير آخر، إن للمعينات ووظائف دلالية تتمثل في ارتباط القرائن الإشارية بالسياق المرجعي والمعنى الدلالي. كما تؤدي هذه المعينات وظيفية نفسية كما عند جان بياجى. ومن ثم، فهل "القرائن الإشارية تكتسب مبكرا أو بكيفية متأخرة من قبل الطفل؟ ولكن الآراء متعددة حول هاته النقطة: بالنسبة لبياجى القرائن الإشارية هي أكثر حضورا في الخطاب الطفولي؛ نظرا لارتباطها باستعمال أنوي ذاتي التمرکز للغة."³⁹ كما تؤدي هذه المعينات وظيفية أنثروبولوجية. وفي هذا السياق، يعلن كلود ليفي شتراوس، ضمن مقاربتة الأنثروبولوجية، أن "في اللغات الهندوأوربية المصطلحات الدالة على القرابة منظمة في بعد ذاتي، على

36 - أريكشيوني: فعل القول من الذاتية في اللغة، ترجمة: محمد نظيف، أفريقيا الشرق،

الدار البيضاء، المغرب، الطبعة الأولى سنة 2007م، ص: 11.

37 - أريكشيوني: فعل القول من الذاتية في اللغة، ص: 54.

38 - أريكشيوني: نفسه، ص: 55.

39 - أريكشيوني: نفسه، ص: 97.

خلاف نظيرتها الصينية حيث يتعلق الأمر بنسق موضوعي كلياً؛ إذ علاقات القرابة تدرك عن طريق صلتها بالشخص، باعتبار أن الألفاظ تصير مبهمة جداً ونادرة لتتنطبق على أقرباء بعيدين. إذاً، الأنساق الهندوأوروبية أنساق ذاتية التمرکز وأنوية، معتبرة الأنا نقطة الانطلاق.⁴⁰ وقد تتخذ المعينات وظيفة بلاغية حينما تتجاوز التعيين والتقريب إلى الإيحاء والتضمين عبر عملية الانزياح والخرق، وانتهاك المعيار التقعيدي، من خلال تصادم الوحدات اللغوية وتوترها، كما في الأمثلة التالية:

◆ " نحن الآن منذ ثلاثين مليون سنة " .هنا، ظرفان زمنيان (الآن/ ثلاثون مليون سنة) لا يشتغلان على النسق الاستدلالي نفسه، بل هناك تصادم دلالي بينهما على المستوى الزمني.

◆ " غدا ذهب القطار " ، يلاحظ أن الذي يتكلم يعيش نسقين زمنين مختلفين (الماضي/المستقبل).

كما يقع هذا الانزياح البلاغي على مستوى الزمن، يقع أيضاً على مستوى الضمائر والفضاءات ، وذلك كله من أجل خلق أبعاد إيحائية وفنية وجمالية واستعارية.

ومن وظائف المعينات الأخرى التمييز بين الأساليب والخطابات والأجناس الأدبية ، كالتمييز - مثلاً- بين الحوار والسرد، فالحوار يتميز بوجود المعينات الحضورية، مثل: أنا، أنت، أنتم، ونحن...، واستعمال زمن الحاضر، وتشغيل الصيغ الانفعالية، وتنويع التعبير إلى : استفهام، وتعجب، وتفجع... في حين، يتميز السرد أو الحكى بغياب هذه المعينات، مع استعمال الأفعال الماضية، وتشغيل ضمائر الغياب، مثل: هو، هي، هم، وهن، وخلوه من الصيغ الاستفهامية والانفعالية

المطلب السادس: النص الأدبي أفعال كلامية

إن النص الأدبي ليس مجرد خطاب لتبادل الأخبار والأقوال والأحاديث، بل يهدف عبر مجموعة من الأقوال والأفعال الإنجازية إلى تغيير وضع

40 - أريكشيوني: نفسه، ص: 82.

المتلقي، وتغيير نظام معتقداته، أو تغيير موقفه السلوكي من خلال ثنائية الفعل ولا تفعل⁴¹. ويعني هذا أن الخطاب أو النص الأدبي، في مفهوم التداوليات التحليلية التي ظهرت في سنوات الخمسين من القرن العشرين مع أوستين، كما في كتابه (نظرية أفعال الكلام) (1962م)⁴²، وسورل في كتابه (أفعال اللغة) (1969م)⁴³، عبارة عن أفعال كلامية تتجاوز الأقوال والملفوظات إلى الفعل الإنجازي والتأثير الذي يتركه ذلك الإنجاز. ومن هنا، تنبني نظرية الأفعال الكلامية على ثلاثة عناصر رئيسة هي: أولاً، فعل القول، ويراد به إطلاق ألفاظ في جمل مفيدة سليمة التركيب، وذات دلالة، تحمل في طياتها حمولات قضوية وإخبارية. ومن هنا، تشتمل على مستوى صوتي وتركيبى ودلالي، مثل: "أشكرك يا علي". وثانياً، الفعل المتضمن في القول: وهو الفعل الإنجازي، وهو يحدد الغرض المقصود بالقول، كصيغة الأمر في هذه الجملة: "انتظري اللحن الجديد". وثالثاً، الفعل الناتج عن القول، وهو ما ينتج عن القول من آثار لدى المخاطب إثر فعل القول، كإقناع المخاطب، وحثه، وإرشاده، وتوجيهه، أو تضليله... وتحضر هذه المستويات الثلاثة للفعل الكلامي جميعها في الوقت ذاته، ودرجة متفاوتة، هي التي تجعل هذا الفعل الكلامي كاملاً. علاوة على ذلك، يميز أوستين بين الجمل الخبرية والجمل الإنجازية، وتتنوع هذه الأقوال الإنجازية إلى أقوال ظاهرة وأقوال مضمرة. فالأقوال الإنجازية قد تكون لها قوة حرفية، مثل: الاستفهام، والتمني، والأمر... وقد تكون لها قوة إنجازية حوارية وسياقية، مثل: الالتماس، والإرشاد، والتهديد، والتحسر، ...

ويعني هذا كله أن الفعل الكلامي ينقسم إلى ثلاثة أنواع: فعل القول، والفعل المتضمن في القول، والفعل الناتج عن القول، وقد لا يدل الفعل المتضمن في القول على دلالاته المباشرة، بل يفيد معنى إنجازياً آخر غير مباشر يحدده سياق القول. بتعبير آخر، للجملة الواحدة ثلاثة مستويات:

⁴¹ - Catherine kerbrat-Orrecchioni: **Enonciation de la subjectivité dans le langage**, Paris, Armond Colin, 1980, p: 181.

⁴² - J.L.Austin: **Quand dire, c'est faire**, Editions du seuil, Paris, 1970.

⁴³ - John R.Searle: **les actes de langage**, Collection, savoir Herman, Paris, 1972.

محتواها القضوي، وهو مجموع معاني مفرداتها، والقوة الإنجازية الحرفية، وهي قوة مدركة مقاليا، والقوة الإنجازية المستلزمة التي تدرك مقاميا. ويعني هذا أن أوستين يربط الأقوال بالأفعال، والمقال بالمقام. فأن نقول كلاما، يعني أننا ننجز فعلا. ومن هنا، فنظرية الأفعال الكلامية تنبني على فعل القول (قول شيء ما) الذي يتخذ مظهرا صوتيا وتركيبيا ودلاليا، والفعل المتضمن في القول (إنجاز فعل معين ضمن قول ما)، وقد يكون فعلا مباشرا أو غير مباشر، والفعل الناتج عن القول (الآثار المترتبة عن قول شيء ما). ويتميز الفعل الكلامي بالمطابقة مع الواقع والسياق، والتعبير عن حالة نفسية، والقدرة على الإنجاز، واختلافه باختلاف منزلة المتكلم من المتلقي، والاختلاف في أسلوب الإنجاز، واختلاف القوة الإنجازية...⁴⁴

ويمكن تقسيم أفعال الكلام - حسب ما يقصد بها من أغراض إنجازية- إلى :

- 1- **التقريريات:** وتفيد تأكيد وإقرار المتكلم لبعض الوقائع والأحداث في الواقع الخارجي، مثل: "إنني كاتب وناقد وفيلسوف".
- 2- **الطلبات أو الأمرات:** وتحضر في توجيه المتكلم طلبا للمخاطب لإنجاز فعل ما، مثل: "هل سيسافر أحمد غدا؟"، و" اخرجوا كلكم من مدرج الكلية".
- 3- **البوحيات أو الإفصاحيات:** تعبر عن الحالة النفسية للمتكلم، مثل: "أحب أن أراك سعيدا"، و" مللت الانتظار".
- 4- **الوعديات:** تفيد التزام المتكلم بإنجاز فعل في الزمان المستقبل، مثل: "أعدك بسفر رائع إلى مصر".
- 5- **التصريحات:** ويقصد بها إعلان المتكلم عن إنجاز فعل يفيد تغييرا مرتقبا على مستوى العالم الخارجي، مثل: "أعلن أيها الحضور الكريم عن برنامجي الانتخابي قريبا".

وعليه، يعتمد الناقد في المقاربة التداولية حين التعامل مع النص الأدبي إلى استخلاص الأفعال الكلامية، وتصنيفها إلى الأفعال القضوية، والأفعال الإنجازية الخبرية، والأفعال السياقية، وتصنيف الجمل الأدبية حسب سياقها ومقامها الوظيفي والتداولي والمقصدي.

44 - راجع: جون أوستين: نظرية أفعال الكلام العام، ترجمة: عبد القادر قنيني، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب، الطبعة الأولى سنة 2006م.

المطلب السابع: النص الأدبي مقصدية

لقد اهتمت الدراسات التداولية، في بداية الأمر ، بالمتكلم باعتباره قوة عليا يمتلك سلطة متفوقة، إذ يوجه للمخاطب الذي يكون في مرتبة دنيا، مجموعة من الأوامر لتنفيذها بطريقة ميكانيكية ، دون تردد أو مناقشة، كما هو حال الأوامر الدينية والعسكرية، ويسمى هذا بالتواصل التوجيهي. لكن هناك من يرفض هذا التصور الميكانيكي، فيعتبر المقصدية قاسما مشتركا بين كل من المتكلم والمتلقي، لافرق بينهما إلا من باب الأخذ بزمam المبادرة. لكن هناك من يرى أن المقصدية قد يتحكم فيها المتلقي، فيجعل المتكلم في قبضة يده، فيتصرف فيه كيفما يشاء، ثم يضطر المتكلم إلى تكييف خطابه حسب رغبات المتلقي، بل قد يكون ناطقا بلسانه⁴⁵.

وهكذا، " لم تخل كتابة من الإشارة إلى القصد والقصدية والمقصدية، ومما يفيد هذا المعنى؛ فالباحثون جميعهم يجعلون المميز الأساسي بين الإنسان وغيره هي المقصدية. ولكن هناك من قصرها على ماورد فيه جذرها صراحة أو ضمنا (هرمان باريت Parret)، ومنهم من جعلها مسبقا (كريماس Greimas)، كما أن منهم من جعلها ميكانيكية موجهة (أوستين Austin، وسورل Searle، وكرايس Grice). بيد أنها لا تقتصر على المتكلم، ولكنها تشمل المخاطب أيضا. ولهذا، فقد تتفق المقصديتان درجات من الاتفاق، وقد تختلفان درجات من الاختلاف (نظرية التلقي)، مما أدى إلى طرح إشكالياتها الفلسفية والمنهجية، باعتبار أنها غالبا مالا تكون ظاهرة في النص، وإنما يفترض أنها تكمن خلفه. لذلك، بذلت محاولات لصورتها (بتيطو Jean Petitot/ وأبوسطل Leo Apstel) للخروج بها من ميدان علم النفس إلى مجال اللسانيات.

إنها – مهما اختلفت وجهات النظر في كيفية تناولها- مجمع على وجودها. كأنها تكسب الكلام دينامية وحركة، بل هي منطلق الدينامية.⁴⁶

⁴⁵ - محمد مفتاح: دينامية النص، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى سنة

1987م، ص:46.

⁴⁶ - محمد مفتاح: دينامية النص، ص:38-39.

ويعني هذا أن النص الأدبي باعتباره جملاً وملفوظات لغوية يحوي مجموعة من المقاصد المباشرة والضمنية التي يعبر عنها المتكلم أو المتلقي أو هما معاً. بتعبير آخر، ثمة مقاصد أولية تتعلق بالمتكلم المرسل قد يكون شاعراً - مثلاً -، فيعبر عن بعض مقاصده كالحب والخوف والاعتقاد والتمني والكرهية. وفي المقابل، ثمة مقاصد ثانوية تتعلق بالمتلقي السامع الذي عليه أن يفهم مقاصد الشاعر المبدع، ويتعرف ظروفه وحالاته النفسية والذهنية والوجدانية.

وإذا انتقلنا إلى النص الأدبي، فإن المبدعين والشعراء يوظفون كلمات وتعابير وأسماء أعلام لها مقصدية مباشرة وغير مباشرة، قد تدرك بطريقة ظاهرة، أو تفهم بالتضمين والتلميح. وهذه المقصدية واضحة في الشعر العربي المعاصر أكثر من الشعر العربي القديم، فالشاعر المعاصر يوظف اللغة في ضوء سيميائية قصدية، حيث تتحول قصائده إلى علامات ورموز وإشارات وأيقونات تحمل في طياتها دلالات مقصدية، ينبغي استكشافها من قبل المتلقي عبر آليات التفكيك والتشريح والتقويض والتأجيل والتأويل، "إن الشعراء مهما كانت أجناسهم وأمصارهم وأزمنتهم حرصوا على قصدية اللغة الشعرية، بمعنى الارتباط الطبيعي بين الدال والمدلول. فقد اعتنقوا، بدرجات متفاوتة النظرية "الكراتيلية" على حساب "الهرموجينية". إلا أنه إذا كان الشعراء القدماء يستعملون اللغة بحسب ماتملي عليه تجاربهم، فإن المحدثين والمعاصرين الذين تأثروا بالتيارات السيميائية المعاصرة صاروا يقصدون اللغة بسبق الإصرار. وهكذا، نجد، في قصائدهم، ما يحاكي أصوات الطبيعة، وحشداً هائلاً من أسماء الأعلام المختلفة ذات الدلالات الإيحائية، وألفاظاً عتيقة ضاربة في أعماق التاريخ، أو حديثة آتية من آفاق مختلفة. وهذا التداخل المعجمي يخلق عدة معانٍ فرعية عرضية تقرأ بتشاكلات مختلفة بحسب الوسط الذي دعيت منه الكلمة مما يجعلها مؤشراً كنائياً عليه. وقد تصبح أيقوناً إذا توفرت فيها علاقة المثلية أو المشابهة."⁴⁷

وهكذا، تتعامل المقاربة التداولية مع النص الأدبي والخطاب الإبداعي باعتباره مقصدية سياقية ينبغي استحضارها بغية تأويل النص تأويلاً صحيحاً وسليماً.

47 - محمد مفتاح: نفسه، ص: 56.

المطلب الثامن: النص الأدبي تفاعل

ينبني النص الأدبي - حسب النظرية التفاعلية- على التفاعل (Interaction)، من خلال استحضار المتكلم والمتلقي اللذين يدخلان في علاقة تفاعلية دينامية إيجابية أو سلبية حسب منطلق السلطة ، والتفاوت الاجتماعي والمعرفي والطبقي. بيد أن السلطة التفاعلية قد يحوزها المتكلم، وقد يمتلكها المتلقي، وقد يشتركان فيها عبر التفاعل التضامني الإيجابي والتعاون التداولي المثمر. وفي هذا الإطار، يقول محمد مفتاح: "نقصد بالتفاعل علاقة المرسل بمتلقيه، سواء أكان ذلك المتلقي فرداً أو جماعة، موجوداً بالفعل أو بالقوة. ومن شأن هذه العلاقة أن تسلب السلطة المطلقة من المرسل على إصدار خطابه بعجرفة أو لامبالاة نحو الآخرين، وأن تدخله في دائرة القواعد الضمنية أو العلانية ، وأن تجعله يكيف خطابه على قدر متلقيه ليحصل التفاعل، وكسب استمالة المتلقي، ونيل رضاه. ونظرية التكيف هذه تتيح لنا معرفة السبب في تلون خطاب مؤلف واحد، فقد يكون من عادة الإجادة، واستعمال أساليب راقية، وصور غريبة، ولكننا قد نفاجأ بغير ما هو معتاد منه، وليس من سبب رئيسي وراء ذلك إلا محاولة التكيف.

على أن هناك اعتراضاً قد يطرح وهو: إن هذا الذي قلتموه يصح في الخطاب التقليدي الروتيني الشعائري المخاطب للناس بما ألفوه، ولكنه لا يستقيم في الخطاب الأدبي العربي الحديث أو المعاصر القائم على مفاجأة المتلقي، وعلى تعميم الطريق أمامه... ومع وجهة هذا الاعتراض، فإننا نفترض أن كل خطاب جاد يهدف إلى عملية ربح المتلقي ، وكسبه إلى جانبه، والربح- هنا- كيفي، وليس كمياً.⁴⁸

وللتوضيح أكثر، فإذا كانت النظرية الإبلاغية تهدف إلى نقل المعلومات، فإن النظرية التفاعلية تهدف إلى توطيد العلاقات الاجتماعية بين الطرفين المتحاورين تدعيماً وتقوية وتعزيزاً. وفي هذا الصدد، يقول الباحث المغربي محمد خطابي: " يقصد بالوظيفة التفاعلية قيام شكل من أشكال

48 - محمد مفتاح: نفسه، ص: 50-51.

التفاعل اللغوي بين فردين أو بين مجموع أفراد عشيرة لغوية. على أن هذه الوظيفة الثانية تكتسي صبغة خاصة باعتبار أنه لا يهدف من ورائها إلى نقل المعلومات، وإنما إلى تأسيس وتعزيز العلاقات الاجتماعية والحفاظ عليها. إضافة إلى ذلك، فهي تعبر عن هذه العلاقات الاجتماعية والآراء والمواقف الشخصية والتأثيرات المرغوب إحداثها في العقيدة أو الرأي أو ماشابه ذلك. فمن الطبيعي - إذاً - أن يهتم بهذه الوظيفة علماء الاجتماع وعلماء الاجتماع اللغوي ودارسو التخاطب وأضرابهم.⁴⁹ وعليه، يمكن دراسة النص الأدبي في ضوء النظرية التفاعلية، وخاصة حينما نريد مقارنة النص المسرحي، فحواراته تحمل في طياتها وظائف عدة، خاصة ما يتعلق بالتخاطب والتفاعل بين الشخصيات داخل مقام تواصلية وسياق تداولية معين.

المطلب التاسع: النص الأدبي حجاج وإقناع

تذهب التداولية الحجاجية إلى أن النص أو الخطاب عبارة عن روابط لغوية حجاجية. وخير من يمثل هذه المقاربة الحجاجية أوزوالد دوكرود (Ducrot) الذي أدخل البعد التداولي ضمن الوصف اللساني، باعتباره أحد مكوناته الرئيسية إلى جانب التركيب والدلالة على غرار شارل موريس. ويعني هذا أن البعد التداولي للملفوظ يوجد في اللغة نفسها، وليس مرتبطاً بسياق تلفظي ما. ومن ثم، فالعلاقات الموجودة بين الملفوظات هي علاقة حجاجية، وليست منطقية استنباطية. بمعنى أن القواعد الحجاجية هي التي تتحكم في ترابط ملفوظات النص، وتسلسلها في علاقاتها بمعانيها، وليست هي القواعد المنطقية والاستنباطية. أي: إن الروابط الحجاجية هي التي تتحكم في اتساق النص وانسجامه، كالضمائر، وحروف العطف، والأسماء الموصولة، وأسماء الإشارة، وروابط الإثبات والنفي، والاستنتاج، والاستدراك... ومن ثم، يتحقق تواصل الملفوظات عبر أفعال الكلام، وليس عبر الصفات من جهة، وفهم الملفوظ يعني فهم أسباب تلفظه من جهة أخرى. ومن ثم، اهتم دوكرود كثيراً

⁴⁹ - محمد خطابي: لسانيات النص، ص: 48.

بالروابط التعبيرية التي تخلق اتساق النص وانسجامه، واهتم كذلك بالتمفصلات اللغوية التي تساهم في خلق النص الحجاجي برهنة واستدلالات وترابطاً وهيكلية.

هذا، والغرض من هذا الحجاج هو الإقناع والتأثير والتداول والتواصل والتخاطب. ومن ثم، فالحجاج فعالية تداولية جدلية ديناميكية فعالة، وهناك نوعان من الحجاج: حجاج عاد عند البلاغيين الجدد، يستعمل آليات وتقنيات بلاغية ومنطقية. أي: مجمل الإستراتيجيات التي يستعملها المتكلم من أجل إقناع مخاطبه. وفي هذا المجال، ارتبطت البلاغة الجديدة بالحجاج ارتباطاً وثيقاً، فاستعملت تقنيات البلاغة في عملية الإفهام والإقناع، وقد اهتم بها كل من بيرلمان (Perelman) و أولبريشت تيتيكا (Tyteka) في كتابهما (مصنف في الحجاج: البلاغة الجديدة) (1958م)، وقد ركز بيلمان كثيراً على مبدأين رئيسيين هما: القصد والمقام. ويمكن الاستفادة من هذا التصور الحجاجي التقليدي، حيث يساعدنا على "اكتساب خبرة منهجية دقيقة في تحليل نصوص ذات طبيعة حجاجية قوية، كالنصوص القضائية والسياسية والفلسفية، بناء على تصور تفاعلي بين الذات المتكلمة والمخاطبين. وعلى الرغم من ميزات هذا التصور، فإنه يقصر الحجاج على بعض التقنيات والآليات البلاغية والمنطقية، وهو ما يدفعه إلى تقسيم الخطابات إلى خطابات حجاجية ذات طبيعة إقناعية، كالمناظرات والمجادلات الدينية والفلسفية والسياسية والقانونية، وأخرى غير حجاجية. بينما يتبنى التصور التقني للحجاج تقسيماً آخر تصير بمقتضاه كل الخطابات المختلفة التي تستعمل لساناً طبيعياً خطابات حجاجية بدرجات مختلفة."⁵⁰

وفي المقابل، هناك حجاج لغوي يعتمد على الروابط اللغوية في عملية الإقناع والمحاججة، ويمثل هذا الاتجاه كل من أوزوالد دوكرو في كتابه (السلام الحجاجية) (1989م)، وأنسكومبر (Anscobre). ويسمى هذا أيضاً بالحجاج داخل اللغة، وهو امتداد للمقاربة التلفظية عند إميل بنيفنست. ويركز دوكرو على منطوق الكلام باستكشاف القواعد الداخلية للخطاب التي تتحكم في ترابط النص وتسلسله واتساقه وانسجامه. ومن

⁵⁰ - رضوان الرقبي: (الاستدلال الحجاجي التداولي وآليات اشتغاله)، مجلة عالم الفكر، الكويت، العدد 2، المجلد 40، أكتوبر- ديسمبر 2011م، ص: 85.

هنا، فالحجاج ليس خارجا عن اللغة أو يضاف إليها، بل هو موجود في داخل اللغة وعبرها وفي بنيتها الضمنية. كما أن الجملة باعتبارها مورفيمات ومونيمات وتعابير وصيغ ، بالإضافة إلى محتواها القضيوي الإخباري، يمكن أن توجه للمتلقى تأثيرات إقناعية حجاجية سلبية أو إيجابية.

من هنا، يمكن مدارس النص الأدبي، سواء أكان سردا أم مسرحية أم نسا شعرية، في ضوء المقاربة الحجاجية، عن طريق استكشاف الروابط الحجاجية اللغوية التي تتحكم في بناء النص وترابطه، مع تبيان البعد الحجاجي والإقناعي في النص ، بالتشديد على السلم الحجاجي الذي يعنى بدراسة مسار الحجاج انطلاقا من قول الحجة إلى نتيجتها، مع تبيان طريقة التلازم، و التعاقد، وسلم التفاضل بين الحجج من حيث القوة و الضعف، و الكم و الكيف... إلخ

المطلب العاشر: النص الأدبي استلزام حوارى

ترى المقاربة التداولية والوظيفية أن النص أو الخطاب الأدبي استلزام حوارى وإنجازى. وهنا، نتحدث بطبيعة الحال عن الدلالات الصريحة والضمنية. فالاستلزام الحوارى يتعلق بالدلالات الضمنية التي يستلزمها السياق الكلامى. ومن ثم، يرتبط الاستلزام الحوارى بنظرية الأفعال كما هي عند أوستين وسورل. أي: ينتقل الكلام من نطاق حرفى وقضيوي مباشر إلى معنى حوارى استلزامى غير مباشر، ويتحكم فيه المقام أو السياق التداولى. وللتوضيح أكثر: قد تكون معانى العبارات اللغوية صريحة، وقد تكون ضمنية. فالمعانى الصريحة هي التي تحمل محتوى قضويا، وتتوفر على القوة الإنجازية الحرفية. فهذا معنى مباشر صريح. أما المعنى الضمنى فينقسم بدوره إلى قسمين: معنى عرفى يتعلق بالاقتضاء (الإحالة)، والاستلزام المنطقى (الدلالة المنطقية)، ومعنى حوارى ينقسم كذلك إلى معنى خاص (الاستلزام الحوارى)، ومعنى معمم. وينتج عن كل هذا وجود أنماط من الأفعال حسب أوستين، وهي: فعل التلفظ، والفعل القضيوي، والفعل الإنجازى، والفعل التأثيرى. ففعل التلفظ يشمل الفعل الصوتى والفعل التركيبى. أما الفعل القضيوي، فيتفرع إلى

الفعل الإحالي والفعل الحملي. أما الفعلان الإنجازي والتأثيري فلا يختلفان في مقترح سيرل عنهما في مقترح أوستين كبير اختلاف. وقد اقترح سيرل كذلك أفعالاً أخرى انطلاقاً من نظرية الأفعال اللغوية، وصنفها في خمس: الأفعال الحكيمية (تمثل الواقع صدقاً أو كذباً)، والأفعال الأمرية، والأفعال الالتزامية، والأفعال التعبيرية، والأفعال الإنجازية. بيد أن سورل يركز فقط على فعلين رئيسيين هما: الفعل القضوي، والفعل الإنجازي.

وبناء على ما سبق، يرى كرايس أن جمل اللغة الطبيعية قد لا تدل على معانيها القضوية المباشرة والحرفية، بل تخرج إلى دلالات سياقية إنجازية. لذا، صاغ قانون التعاون بمبادئه الأربعة: مبدأ الكم، ومبدأ الكيف، ومبدأ التعبير، ومبدأ المناسبة. ومن ثم، يسمي كرايس هذا النوع من الجمل الإنجازية التي تحمل معاني سياقية ضمنية بالاستلزام الحوارية. ويتحقق هذا الاستلزام حينما تخرق إحدى القواعد الأربع، مع احترام مبدأ التعاون. ويخرج كرايس هذا النوع من الدلالة في تصنيف عام للمعاني التي يمكن أن تدل عليها العبارات اللغوية. ويشرح الباحث اللغوي المغربي أحمد المتوكل ما قلناه سابقاً بقوله: "تنقسم الحمولة الدلالية للعبارة اللغوية إلى معان صريحة ومعان ضمنية، وتعد معاني صريحة المعاني المدلول عليها بصفة الجملة ذاتها. في حين، تعد ضمنية المعاني التي لا تدل عليها بصيغة الجملة.

تشمل حمولة المعاني الصريحة: (أ) المحتوى القضوي (معاني مفردات الجملة مضموماً بعضها إلى بعض)، و(ب) القوة الإنجازية الحرفية (القوة الإنجازية المشار لها بصيغة الجملة كالأستفهام والأمر والإخبار...).

2- المعاني الضمنية صنفان: معان عرفية ومعان حوارية (أو سياقية). تعد معاني عرفية المعاني المرتبطة بالجملة ارتباطاً يجعلها لا تتغير بتغير السياقات. في حين، تعد معاني حوارية المعاني التي تتولد طبقاً للسياقات أو المقامات التي تنجز فيها الجملة. من المعاني المتضمنة عرفاً المعنى المقتضى أو الاقتضاء، والمعنى المستلزم منطقياً أو الاستلزام المنطقي.

أما المعاني الضمنية المتولدة عن السياق، فهي نوعان: المعاني الناتجة عن سياق خاص والمعاني البالغة من العموم أنها لم تعد مرتبطة بسياق خاص أو طبقة معينة من السياقات. يصطلح كرايس على تسمية هذين النوعين

من المعاني الضمنية " الاستلزامات الحوارية الخاصة" و " الاستلزامات الحوارية المعممة" على التوالي.⁵¹

إذا أخذنا على سبيل المثال جملة: " هل تعيرني القلم الأحمر؟"، فالمعنى القضوي يتمثل في جمع الكلمات والمورفيمات التالية: هل-تعير-ني- القلم الأحمر. أما القوة الإنجازية الحرفية فتتمثل في الاستفهام والأداة "هل" والتتعيم. وإذا جمعنا القضية مع الإنجاز الحرفي يتشكل لدينا المعنى الصريح من الجملة أو العبارة.

أما المعنى الضمني في الجملة، فيتألف من معنيين عرفيين هما: الاقتضاء (اقتضاء وجود قلم أحمر)، والاستلزام المنطقي (كون القلم ذا لون)، ومعنى حوارى خاص أو استلزام حوارى خاص، وهو معنى الالتماس. أي: التماس المتكلم من المخاطب أن يعيره القلم الأحمر.⁵²

ويمكن التمثيل للاستلزام الحوارى المعمم بالجملتين المنفيتين التاليتين:

1- ألم أعطك كل ما عندي؟

2- أما بلغت مرادك؟

فهاتان الجملتان، وكل الجمل التي هي من هذا النوع، تفيدان معنى الإثبات في جميع السياقات.⁵³

ونلاحظ من كل هذا أن ظاهرة الاستلزام الحوارى، كما طرحها كرايس، قد درست في إطار نظرية الأفعال اللغوية، بمعنى أن "ظاهرة الاستلزام الحوارى درست، بعد كرايس، في إطار نظرية الأفعال اللغوية على أساس أنها ظاهرة تعدد الأفعال اللغوية بالنسبة للمحتوى القضوي الواحد. يصنف سيرل الجمل، من حيث عدد الأفعال اللغوية المواكبة لها، صنفين: جملا يواكبها فعل لغوي واحد، وجملا يواكبها أكثر من فعل لغوي واحد (فعلان لغويان في أغلب الحالات). في حالة مواكبة فعلين لغويين اثنين للجملة الواحدة، يميز سيرل بين الفعل اللغوي المباشر والفعل اللغوي غير المباشر، بين الفعل اللغوي الحرفى المدلول عليه بصيغة الجملة ذاتها والفعل اللغوي المفاد من المقام."⁵⁴

51 - أحمد المتوكل: نفسه، ص:28.

52 - أحمد المتوكل: نفسه، ص:29-30.

53 - أحمد المتوكل: نفسه، ص:29-30.

54 - أحمد المتوكل: نفسه، ص:30.

وللتمثيل نختار المثال التالي:

س: لنزر سمير في حديقته هذا اليوم.

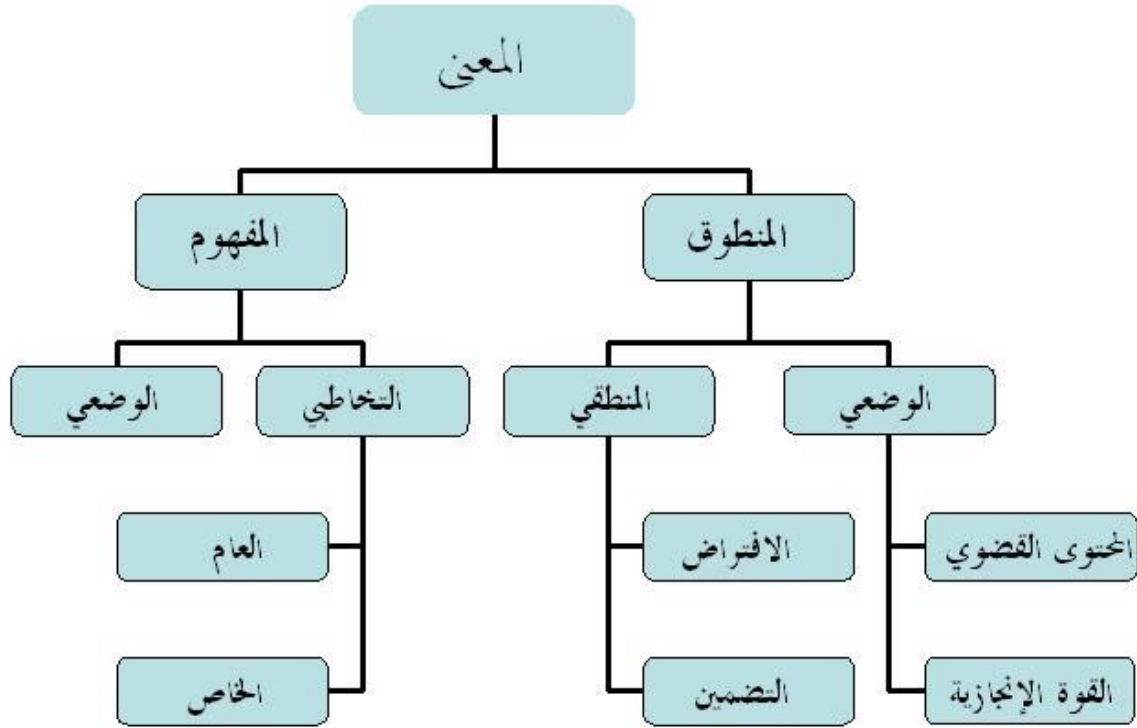
ج: علي أن أحضر درس الامتحان

يتحقق في هذا المثال فعلان لغويان: فعل لغوي مباشر، وهو إعداد الدرس استعداداً للامتحان، وفعل لغوي غير مباشر، وهو رفض الدعوة.

هذا من جهة، ويرى أحمد المتوكل من جهة أخرى بأن فلاسفة اللغة العادية لم يهتموا بجوانب أخرى من "تداوليات اللغات الطبيعية كالجوانب المرتبطة بالبنية الإخبارية للجملة عنايتهم بالإحالة والاقتضاء والأفعال اللغوية والاستلزام الحوارية. هذه الجوانب المغفلة في الدرس الفلسفي هي أنواع العلاقات الإخبارية القائمة بين مكونات الجملة. فبالإضافة إلى العلاقات الدلالية (الأدوار الدلالية) كالمنفذ والمتقبل والمستقبل والأداة، والعلاقات التركيبية كالفاعل والمفعول، تقوم بين مكونات الجملة علاقات تداولية كالمبتدأ والذيل والمنادى والمحور والبؤرة والمعطى والجديد وغيرها."⁵⁵

هذا، وإذا انتقلنا إلى النص الأدبي لتحليله تداولياً، فنقوم بتصنيف العبارات اللغوية إلى عبارات صريحة المعنى، فنحدد أفعالها القضوية، وتبيان قوتها الإنجازية الحرفية. وبعد ذلك، ننقل إلى استكشاف المعاني الضمنية، سواء أكانت اقتضائية إحالية أم عرفية أم منطقية. ومن ثم، ننقل إلى الاستلزام الحوارية باستكشاف المعاني الإنجازية السياقية والمقامية، سواء الخاصة منها أم العامة. ويمكن الاستعانة بالمفاهيم التي تنبني عليها التداوليات الوظيفية لاستخلاص المعاني الاستلزامية السياقية والمقامية، من خلال التركيز على الأدوار التركيبية النحوية، والأدوار الدلالية، والأدوار التداولية. علاوة على ذلك، يمكن تصنيف أفعال النص الأدبي إلى أفعال تلفظية، وأفعال قضوية، وأفعال اقتضائية، وأفعال عرفية، وأفعال إنجازية حرفية، وأفعال إنجازية سياقية، إلخ...

⁵⁵ - أحمد المتوكل: نفسه، ص: 32.



المطلب الحادي عشر: النص الأدبي حوارية تداولية وبوليفونية

تعرف فرانسواز أرمينكو (Françoise Armengaud) الحوارية بأنها "مكون لكل كلام، وتعرف كتوزيع لكل خطاب إلى لحظتين تلفظيتين توجدان في علاقة حالية، ويقدم المبدأ الحوارية من خلال الحدود التالية: كل تلفظ يوضع في مجتمع معين لا بد من أن ينتج بطريقة ثنائية، تتوزع بين المتلفظين الذين يتمرسون على ثنائية الإصااتة وثنائية العرض، على حد تعبير فرانسيس جاك، وإن كل كلام إلا وله مالكان تقريبيان، وربما كان من المضبوط القول بأن سيدة الكلام الحوارية هي العلاقة التخاطبية ذاتها."⁵⁶

بمعنى أن الملفوظ التخاطبي دال مادام يتموضع في مجتمع المتحاورين والمتناظرين. ومن ثم، يمتلكون علاقات حوارية وتخاطبية. ومن ثم، تقوم

⁵⁶ - فرانسواز أرمينكو: المقاربة التداولية، ترجمة: د. سعيد علوش، المؤسسة الحديثة للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى سنة 1987م، ص: 112.

الحوارية على عرض الملفوظات المتبادلة، فتترابط الحوارات الحالية مع الحوارات السابقة والحوارات اللاحقة.

علاوة على ذلك، يمكن الحديث عن أنواع من الحوارية، فهناك حوارية حجاجية فلسفية وتداولية كما عند فرنسيس جاك، وحوارية أدبية كما عند الروسي ميخائيل باختين، وحوارية بوليفونية لسانية ولغوية كما عند أزوالد دو كرو. كما تنقسم الحوارية أيضا إلى حوارية صريحة، وحوارية مضمرة، وحوارية متعددة الأصوات.

هذا، وتحقق الحوارية مجموعة من الوظائف والأهداف" نجد في الدرجة الأولى أنها تمنح للتلفظ طبيعة نسبية وتفاعلية. وتحكم في الدرجة الثانية عند المتكلمين- وأكثر في اللحظات التلفظية - نشاطين لايفترقان عن إرادة القول والفهم: في الدلالة والفهم. حين، تكون العلاقة التخاطبية غير متعادلة، أو حين تكون موضوعا لنفي صراعي في الخطاب. وتحكم الحوارية في الدرجة الثالثة الدلالة العميقة للتلفظ: مادامت الآلية الإحالية والمضمون القضوي، والقوة الإنجازية للجملة في وضعية تخاطبية.

وتعد آثار الحوارية في مفهوم المتكلم هامة بصفة خاصة. إذ تلغي استقلال الفاعل المتكلم تجاه الدلالات الموصلة. ويحيل التحليل المتعالي، في علاقة بهذا، لا على الفاعل، بل على العلاقة التخاطبية نفسها.⁵⁷

ومن هنا، فالحوارية تتجاوز الجملة مادام التخاطب قائما على السؤال والجواب، وتجاوز للمتكلم إلى العلاقة التخاطبية التي تجمع بين المتكلم والمتلقي، ووجود إحالة على الأشخاص وإحالة على العالم سياقاً ومقاماً. أما فيما يخص الحوارية المتعددة في الأدب، فتنبني على تعددية في الأطروحات والأفكار والإيديولوجيات ووجهات النظر، وتعدد في الرواية والسرد، وتعدد في اللغات واللهجات والأساليب، واعتماد السخرية والباروديا والتهجين والأسلبة والتناص. بمعنى أنها رواية تفاعلية نسبية تحتكم إلى ديمقراطية السرد والرؤية والإيديولوجيا.

هذا، ويعرف ميخائيل باختين الرواية البوليفونية بقوله: "إن الرواية المتعددة الأصوات ذات طابع حوارية على نطاق واسع. وبين جميع عناصر البنية الروائية، توجد دائما علاقات حوارية. أي: إن هذه العناصر جرى وضع بعضها في مواجهة البعض الآخر، مثلما يحدث عند المزج

⁵⁷ - فرانسواز أرمينكو: المقاربة التداولية، ص: 112.

بين مختلف الألحان في عمل موسيقي.حقا إن العلاقات الحوارية هي ظاهرة أكثر انتشارا بكثير من العلاقات بين الردود الخاصة بالحوار الذي يجري التعبير عنه خلال التكوين، إنها ظاهرة شاملة تقريبا، تتخلل كل الحديث البشري وكل علاقات وظواهر الحياة الإنسانية، تتخلل تقريبا كل ماله فكرة ومعنى.⁵⁸

وهكذا، تنبني الرواية البوليفونية على تعدد المنظورات السردية ووجهات النظر(الرؤية من الخلف- الرؤية الداخلية - الرؤية من الخارج)، بالإضافة إلى تعدد الضمائر السردية (ضمير المتكلم- ضمير المخاطب- ضمير الغائب)، وتعدد الرواة والسراد الذين يعبرون عن اختلاف المواقف الفكرية، وتعدد المواقف الأيديولوجية، واختلاف وجهات النظر تواسلا وتبليغا واقتناعا. بمعنى أن كل قصة نووية يسردها سراد مختلفون، كل سارد له رؤيته الخاصة إلى زاوية الموضوع. أي: يعطي المؤلف للشخص الحرة والديمقراطية في التعبير عن وجهات نظرها، دون تدخل سافر من المؤلف لترجيح موقف على حساب موقف آخر، بل يترك كل شخص يدلي برأيه بكل صراحة وشفافية، فيعلن منظوره تجاه الحدث والموقف بكل صدق وإخلاص، ثم يعبر عن نظره وإيديولوجيته بكل مصداقية، دون زيف أو مواربة أو تغيير لكلامه. كأن تعبر شخصية ما عن رؤيتها الإسلامية، وتعبر شخصية أخرى عن رؤيتها الاشتراكية، وشخصية ثالثة عن الرؤية الشيوعية، وشخصية رابعة عن رؤية أرستقراطية، هكذا دواليك. لكن للقارئ الحق الكامل في اختيار الرؤية التي يراها مقنعة ووجيهة، دون أن يفرض عليه الكاتب أو المؤلف أو السارد المطلق رؤية معينة، عبر مجموعة من الآليات كترجيح وجهة نظر شخصية معينة، وتسفيه آراء الشخصيات الأخر عن طريق التقويم الذاتي والانفعالي، وإصدار أحكام القيمة.

المطلب الثاني عشر: النص الأدبي سياق

⁵⁸ - ميخائيل باختين: شعرية دويستفسكي، ص: 59.

من المعلوم أن النظرية التوليدية التحويلية مع نوام شومسكي قد أعطت أهمية كبرى للكفاءة اللغوية على حساب الإنجاز أو القدرة التداولية، أو على حساب الاستعمال والأداء والإنجاز. ومن ثم، فالنظرية التوليدية نظرية صورية تتسم بقدر عال من التجريد والأمثلة، مادامت لاتعنى بالسياق والاستعمال الإنجازي التداولي. و" لقد جاءت البراغماتية بعد مراحل من الدراسات الصورية أو البنائية للمعنى، التي عرف بها التوليديون على وجه الخصوص، ولعل روبين لاکوف (Robin Lakof) من أوائل التوليديين الذين شككوا في إمكان دراسة المعنى معزولا عن السياق، وتحمل شهادة أحد التوليديين المعروفين بإغراقهم في التجريد على إخفاق النهج الصوري البنائي في دراسة المعنى قيمة خاصة في البرهنة على أهمية السياق، والاستخدام في تقديم تفسير سليم لعملية التخاطب".⁵⁹

بيد أن النظريات اللسانية الصورية، سواء أكانت بنوية وصفية أم بنوية تفسيرية، تعرضت لمجموعة من الانتقادات الداعية إلى ربط التركيب والدلالة بالسياق الوظيفي والتداولي. وهكذا، " فمنذ السبعينيات، توالى الانتقادات للدراسات التي تجعل من الجملة وحدة للتحليل اللغوي، وزاد عزوف مختلف الباحثين عن الدراسات التي لا تأخذ في حسابها العناصر السياقية، والجوانب التخاطبية في دراسة اللغة. فاللسانيون الاجتماعيون بدأوا يرفضون فكرة المتحدث المثالي عند تشومسكي، وشبيه بهذا ما فعلته اللسانيات النصية، وتحليل الخطاب حين رفضتا قصر الدراسات اللسانية على ما يسمى بنحو الجملة؛ متأثرين في ذلك ببعض الوظيفيين من أمثال: فيرث، وهاليداي، وميتشال (Mitchell) الذين بلغت شهرتهم أوجها في الخمسينيات".⁶⁰

هذا، ويذهب كل من براون ويول، في كتابهما (تحليل الخطاب) (1983م)، إلى أن محلل النص ومؤوله عليه أن يراعي مجموعة من العناصر المهمة في عملية التداول هي: المتكلم، والمخاطب، والسياق الذي تبلور فيه النص بمعرفة الزمان والمكان، وقد يؤدي القول الذي قيل في سياقين مختلفين إلى تأويلين مختلفين. ويعني هذا أن السياق يتحكم في بنية

59 - محمد محمد يونس علي: نفسه، ص: 136-137.

60 - محمد محمد يونس علي: نفسه، ص: 137.

التأويل الخطابي. ويرى هايمس أن السياق له وظيفة مزدوجة تتمثل في تقييد مجال التأويل، ودعم التأويل المقصود. كما صنف هايمس السياق إلى العناصر التالية: المرسل، والمتلقي، والحضور (المستمعون الآخرون)، والموضوع، والمقام (زمان الحدث التواصلية ومكانه)، والقناة، والنظام (اللغة أو اللهجة...)، وشكل الرسالة، والمفتاح (هل كانت الرسالة موعظة حسنة، شرحاً مثيراً للعواطف؟...)، والغرض. أما ليفيس فيحصر السياق في العناصر التالية: العالم الممكن، والزمان، والمكان، والحضور، والشئ المشار إليه، والخطاب السابق، والتخصيص⁶¹.

علاوة على ذلك، يقوم السياق بدور هام في تحقيق اتساق النص وانسجامه. وفي هذا الصدد، يقول محمد خطابي: "إن الخطاب القابل للفهم والتأويل هو الخطاب القابل لأن يوضع في سياقه، بالمعنى المحدد سلفاً، إذ كثيراً ما يكون المتلقي أمام خطاب بسيط للغاية (من حيث لغته)، ولكنه قد يتضمن قرائن (ضماناً أو ظرفاً) تجعله غامضاً غير مفهوم بدون الإحاطة بسياقه. ومن ثم، فإن للسياق دوراً فعالاً في تواصلية الخطاب وفي انسجامه بالأساس. وما كان ممكناً أن يكون للخطاب معنى لولا الإلمام بسياقه."⁶²

ويعني هذا أن النص الأدبي لا يمكن أن يبقى منغلقة على ذاته، منطوية على بنياته السيميائية أو التصويرية المجردة، بل عليه أن يفتح على العوالم السياقية المتعددة الدلالات. بمعنى أن النص لا بد أن يخضع لمبدأ التأويل السياقي من خلال الانفتاح على السياق النصي الداخلي، والسياق الخارجي المتعدد الأبعاد. وعليه، أن يبين أنواع السياق التي تتحدد - حسب باريت (Parret) - في: السياق النصي (تجاوز الجملة إلى سياق الخطاب)، والسياق الوجودي (الإشارة إلى أشياء العالم الخارجي)، والسياق المقامي (مجموعة من السياقات الموقفية والاجتماعية والزمانية والمكانية والمؤسسية)، وسياق الفعل (سياق نظرية الأفعال اللغوية)، والسياق النفسي (إدماج الحالات الذهنية والنفسية). ولا يكفي الناقد بهذا، بل لا بد من إبراز عناصر السياق التي تتمثل في: المرسل، والمرسل إليه، والعناصر المشتركة بينهما من معرفة مشتركة (معرفة عامة بالعالم، ومعرفة بنظام اللغة، ومعرفة بالزمان والمكان...)، وعلاقة اجتماعية تفاعلية، سواء أكانت

61 - محمد خطابي: نفسه، ص: 52-54.

62 - محمد خطابي: نفسه، ص: 56.

علاقة حميمة أم رسمية (علاقة سلطة). ولا ننسى أن نحدد إستراتيجيات الخطاب التي تربط الخطاب بالمقام السياقي. ومن بين هذه الإستراتيجيات، نذكر: الإستراتيجية التوجيهية، والإستراتيجية التضامنية، والإستراتيجية التلميحية، وإستراتيجية الإقناع. وتستند هذه الإستراتيجيات إلى عاملين رئيسين هما: السلطة والمقصدية.

ولا ننسى أن يحدد الناقد التداولي، حين التعامل مع الخطاب الأدبي، القدرة الكفائية التي يمتلكها صاحب النص أو الخطاب الأدبي، وتتمثل هذه القدرات - حسب فان ديك- في خمس ملكات رئيسية هي: الملكة اللغوية (إنتاج عبارات لغوية متعددة في سياقات موقفية معينة)، والملكة المنطقية (توظيف معارف قائمة على الاستدلال الاستنباطي أو الاستقرائي أو الاحتمالي)، والملكة المعرفية (استثمار المعرف المنظمة في تأويل العبارات اللغوية المنتجة)، والملكة الإدراكية (إدراك المحيط، واستثمار معارف المحيط في إنتاج العبارات اللغوية)، والملكة الاجتماعية (تعني أن المتكلم على دراية تامة بما يقوله، بل يعرف كذلك كيف يستعمل ما يعرفه من جمل ومعارف في سياق تواصل معين)⁶³.

وهناك قوالب خطابية تتلاءم جدليا مع كل ملكة كفائية، وتتعلق بالقدرة اللغوية من جهة، والسياق من جهة أخرى، فيوجد القالب اللغوي (الملكة اللغوية)، والقالب المنطقي (الملكة المنطقية)، والقالب المعرفي (الملكة المعرفية)، والقالب الإدراكي (الملكة الإدراكية)، والقالب الاجتماعي (الملكة الاجتماعية)، وهناك مقترح بإضافة قالب سادس، وهو القالب الشعري الذي يتناسب مع الملكة الشعرية (رصد الملكة الشعرية لدى مستعملي اللغة الطبيعية، ويمكنهم من إنتاج وفهم ما يسمى بالخطاب الشعري أو الفني بوجه عام)، وقد أضافها الباحث اللغوي المغربي أحمد المتوكل، بل هناك من أضاف قالبا سابعاً، وهو الباحث المغربي عز الدين البوشيخي، ويسمى بالقالب التخيلي الذي يتناسب مع الملكة التخيلية (رصد الملكة التخيلية لدى مستعملي اللغة الطبيعية، ويمكنهم من إنتاج وفهم ما يسمى

⁶³ - عبد الهادي بن ظافر الهشري: إستراتيجية الخطاب، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، سنة 2004م، ص: 57.

بالخطاب التخيلي أدبا وفنا)⁶⁴. بيد أن ما يلاحظ على هذه القوالب أنها قد تكون جميعها مجتمعة في الخطاب، أو قد لا نجد في الخطاب سوى قالب واحد أو قالبين..

المطلب الثالث عشر: النص الأدبي إحالة

من المعلوم أن النص أو الخطاب الأدبي إحالة مرجعية وسياقية ومقامية وتداولية، فلا يمكن فهم الملفوظ النصي أو الخطاب باعتباره كلية عضوية متنسقة ومنسجمة إلا إذا راعينا مفهوم الإحالة النصية والمقامية والسياقية. وقد تحدث هاليداي وحسن، في كتابهما (الاتساق في اللغة الإنجليزية) (1976م)، عن الإحالة كثيرا، واعتبرا الإحالة مظهرا من مظاهر اتساق الخطاب اللغوي. ومن ثم، " يستعمل الباحثان مصطلح الإحالة استعمالا خاصا، وهو أن العناصر المحيلة كيفما كان نوعها لا تكتفي بذاتها من حيث التأويل، إذ لا بد من العودة إلى ماتشير إليه من أجل تأويلها. وتتوفر كل لغة طبيعية على عناصر تملك خاصية الإحالة، وهي حسب الباحثين: الضمائر، وأسماء الإشارة، وأدوات المقارنة. تعتبر الإحالة علاقة دلالية. ومن ثم، لا تخضع لقيود نحوية، إلا أنها تخضع لقيود دلالية، وهو وجوب تطابق الخصائص الدلالية بين العنصر المحيل والعنصر المحال إليه."⁶⁵ وتنقسم الإحالة إلى إحالة مقامية، وهي إحالة إلى خارج النص، وإحالة نصية لها علاقة وثيقة بالداخل النصي. وتنقسم الإحالة النصية بدورها إلى إحالة قبلية تحيل على سابق ما، وإحالة بعدية تحيل على لاحق ما. ويرى هاليداي ورقية حسن بأن الإحالة المقامية " تساهم في خلق النص، لكونها تربط اللغة بسياق المقام، إلا أنها لا تساهم في اتساقه بشكل مباشر"⁶⁶، بينما تقوم الإحالة النصية بدور هام في اتساق النص وترابطه تماسكا وانسجاما.

⁶⁴ حافظ إسماعيل علوي: اللسانيات في الثقافة العربية المعاصرة، دار الكتاب الجديدة المتحدة، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى سنة 2009م، ص:177.

⁶⁵ - محمد خطابي: نفسه، ص:16-17.

⁶⁶ - Halliday, M.A.K and R.Hassan: Cohesion in English. Longman. London. 1976. P:37.

المطلب الرابع عشر: النص الأدبي والتأويل السياقي

يتضمن النص أو الخطاب الأدبي عوالم غامضة من الدلالات العائمة والأفكار الضمنية التي تختفي وراء متاريس مجازية وإيحائية. ومن هنا، يتميز النص الأدبي عن الأقوال العادية بقوالب شعرية وتخيلية، ويتسم أيضاً بقوة الانزياح والخرق والترميز والأسطرة والكثافة البلاغية المعقدة والمتشابكة. وهذا يحتاج إلى قارئ ومحل وناقد تأويلي يفكك الدلالات في ضوء مقاصدها وسياقاتها الوظيفية. ومن ثم، يتقيد بمبدأ التأويل المحلي الذي قال عنه محمد خطابي في كتابه (لسانيات النص) (1991م): "يرتبط هذا المبدأ بما يمكن أن يعتبر تقييداً للطاقة التأويلية لدى المتلقي باعتماده على خصائص السياق، كما أنه مبدأ متعلق أيضاً بكيفية تحديد الفترة الزمنية في تأويل مؤشر زمني مثل: "الآن"، أو المظاهر الملائمة لشخص محال إليه بالاسم "محمد" مثلاً. ويقتضي هذا وجود مبادئ في متناول المتلقي تجعله قادراً على تحديد تأويل ملائم ومعقول... في مناسبة قولية معينة. إن أحد هذه المبادئ هو التأويل المحلي الذي يعلم المستمع بالأينشء سياقاً أكثر مما يحتاجه من أجل الوصول إلى تأويل ما؛ فبهدف تقييد التأويل، يضطر المتلقي إلى اعتبار ماتقدم خاصة (وهو ما يسمى في اصطلاح ليفيس "الخطاب السابق")".⁶⁷

ويعني هذا كله أن الدارس للنص الأدبي لا بد أن يراعي المقصدية والسياق والإحالة في عملية التأويل إن تفكيكا وإن تركيباً. ومن الذين دافعوا عن التأويل السياقي والإحالي نذكر: الفيلسوف الفرنسي بول ريكور الذي تجاوز ثنائية فرديناند دوسوسير: الدال والمدلول، لينفتح على المرجع. ويعني هذا أن اللسانيات البنوية والسيمياثيات قد أقصيتنا من حسابها الإحالة أو المرجع، بينما سيميوطيقا بول ريكور أعادت لها الاعتبار؛ لأن المؤول لا ينبغي أن يقف عند حدود التفسير العلمي للواقعة النصية، فلا بد أن يقرأ النص قراءة ذاتية من أجل فهم الذات، وفهم الغير، وفهم العالم الخارجي لتأسيس هويته الشخصية. ومهما كان النص تخييلياً أو علاماتياً أو رمزياً، فإنه ينقل عبر استعاراته ولغته ومخياله العالم الخارجي، أو

⁶⁷ - محمد خطابي: نفسه، ص: 56.

المعطى الواقعي المادي محاكاة وتمائلا وتقابلا. ومن ثم، تضع سيميوطيقا ريكور تقابلا بين البنيوية باعتبارها علما لعالم مغلق من العلامات، والهيرمونيطيقا باعتبارها مقاربة تأويلية تفسيرية للمرجع اللغوي في علاقته بالعالم والسياق الوظيفي.

المطلب الخامس عشر: النص الأدبي بين المعنى الحرفي والمعنى السياقي

من المعلوم أن النصوص والخطابات تتأرجح بين المعاني الحرفية القائمة على التقريرية والمباشرة والتعيين، والمعاني السياقية المبنية على التضمين والإيحاء والاقتضاء والاستلزام الحوارية والإنجازية. بمعنى أن النص قد يحتوي على ملفوظات وجمل دلالية تحمل مضامين قضوية إخبارية، تنقل العوالم الذاتية والموضوعية الكائنة والممكنة بطريقة حرفية مباشرة، وقد توجد مجموعة من المعاني، وخاصة في النصوص الإبداعية، تحمل في طياتها أبعادا سياقية وتداولية وإنجازية تحتاج إلى تأويل واستكشاف وظيفي. وقد ميز سورل (Searl) في كثير من كتاباته التداولية بين المعنى الحرفي والمعنى السياقي المرتبط بالمقام والسياق والإحالة. وفي هذا النطاق، تقول فرانسواز أرمينكو في كتابها (المقاربة التداولية) (1985م): "يعمل المعنى الحرفي والمعنى السياقي على مشكل الحدود بين الدلالة والتداولية، من خلال الاختلاف بين فكرة المعنى الحرفي والسياق المنعدم، لقد دعم سيرل فيما يخص هذه النقطة أطروحات منطرفة ظاهريا. إذ يقوم أساس ما يقول به سيرل على شروط تطبيق مفهوم المعنى الحرفي. ويدعمه كون المعنى الحرفي لجملة ما، لا يعني عدم وجوده، بل نسبته، بالنسبة لتصعيدات سابقة، يطلق عليها التصعيدات السياقية، وذلك خارج كل ما يعترف به عادة، في خضوعه للسياق. أي: الإشارية، إلخ. ويقوم غرض سيرل على الطرح موضع تساؤل للفكرة التي يمكن بها، بالنسبة لكل جملة إدراك المعنى الحرفي لهذه الجملة، في استقلال عن بعض السياقات، كيفما كانت. وندعم كون مفهوم المعنى الحرفي لجملة ما، لا يجد تطبيقه عامة، إلا بالنسبة لمجموع التصعيدات السياقية القبلية... ويعبر عن المفهوم الذي سأركز عليه في بعض الأحيان، بقولنا بأن المعنى

الحرفي للجملة ما هو المعنى الذي نجد لهذه الجملة، في سياق الصفر، أو في سياق منعدم. وتقوم الإستراتيجية المتبعة عند سيرل على اعتبار الجمل، التي يظهر أنها تكون حالات مسعفة للفكرة، التي يكون المعنى الحرفي بموجبها مستقلا عن السياق، وتوضيح نسبية تطبيق مفهوم المعنى لجملة ما، في كل حالة، فيما يخص تصعيدات سياقية.⁶⁸

وتأسيسا على ماسبق، فقد ميز سورل (Searle) بين اللغة العادية واللغة الانزياحية كما في كتابيه (التعبير والمعنى) وكتاب (المقصدية). وإذا كانت اللغة العادية لغة تحيل على الواقع، فإن اللغة الانزياحية تسبب التشويش كالمسرح والرواية. ومن ثم، تقوم اللغة العادية على مجموعة من أفعال الكلام، وقد حصرها في أنواع خمسة: الإخبار بحيث تبلغ مخاطبك خبرا صادقا أو كاذبا، والأمر بحث تحاول أن تجعل مخاطبك ينفذ أمرا ما، والالتزام بحيث يلتزم المتكلم بفعل شيء ما، والتصريح بحيث يصرح المتكلم بإحداث تغييرات على العالم المتحدث عنه، والتعبير الانفعالي بحيث يكون الحديث عن الأحاسيس والمشاعر تجاه الذات أو الموضوع. بيد أن الصدق في الكلام العادي يختلف عن الصدق في مجال الأدب. وقد وضع سورل قواعد شروط النجاح التداولي في أنواع ثلاثة: الشروط التحضيرية كامتلاك الأهلية، والكفاءة السياقية، والسلطة العليا، وشروط الصدق بمعنى ألا يقول المتكلم إلا ما هو مؤمن به، ويعتقده عن صدق وإخلاص، والشروط الجوهرية التي تتلخص في صدق المقاصد والنيات، كأن لا يقول المتكلم ما يناقض معتقداته ورغباته.⁶⁹

وهكذا، فعندما نريد تحليل النصوص والخطابات، ولاسيما الأدبية منها، لا بد من التمييز بين المعاني الحرفية ذات الطابع الخبري والقضوي، والمعاني السياقية التي ترتبط بسياقها الوظيفي والإنجازي. ويعني هذا أنه لا بد من الانتقال من مستوى الدلالة إلى مستوى التداول لتفكيك الجمل، واستكشاف أبعادها الوظيفية والسياقية مقاما وزمانا ومكانا، وهذا يشبه بشكل من الأشكال ما يسمى بالاستلزام الحوارية. ويعلم الكل أن النصوص الشعرية طافحة بالصور البلاغية المجازية والمعاني الإيحائية، وهي

68 - فرانسواز أرمينكو: المقاربة التداولية، ص: 75.

69 - محمد مفتاح: تحليل الخطاب الشعري، ص: 141.

تترابط شعريا بسياقاتها الإحالية والمقامية والنصية والوظيفية، وما على الناقد إلا استجلاؤها وتحليلها وتبيان وظائفها السياقية والمقامية.

المبحث الخامس: المقاربة التداولية في العالم العربي

يمكن الحديث عربيا عن مجموعة من الدارسين والباحثين الذين اهتموا بتداوليات النص والخطاب الأدبي، ومعظم هذه الدراسات أنجزها باحثون مغاربة وجزائريون وتونسيون، ومن بينهم: محمد مفتاح الذي تحدث عن بعض المفاهيم التداولية في كتابه (في سيمياء الشعر القديم⁷⁰) كالمقصدية عند حازم القرطاجني، والمعاني الجمهورية، والوضوح، واحترام العقدة بين المتكلم والمخاطب ، وهي ما يسميه التداوليون بمبدأ التعاون، بما يعنيه من قواعد: الكمية (الاستقصاء)، والكيفية (الصدق)، والعلاقة، والجهة. وقد اعتمد محمد مفتاح في ذلك على تصورات حازم القرطاجني⁷¹، وفرانسوا ريكاناتي⁷²، وأوزوالد دوكرود الذي عرف مبدأ الكمية بقوله: " إن هذا القانون يحتم على المتكلم أن يعطي، على الموضوع المتحدث عنه، المعلومات الأساسية التي يمتلكها ، والتي من شأنها أن تفيد المخاطب"⁷³

كما خصص محمد مفتاح البعد التداولي بالفصل السابع في كتابه (تحليل الخطاب الشعري)، حينما تحدث عن التفاعل بين المتكلم والمخاطب. ومن ثم، فقد ذكر بعض التيارات التداولية هي: تيار موريس، وتيار فلاسفة أكسفورد، وتيار التوليديين، وتيار السرديين . ومن هناك، فقد اهتم تيار موريس بذاتية اللغة والبعد التوصللي والسياقي، كما عند بنيفنست، ولانيس، وأرويكشيوني، وتم التركيز على المعينات، والزمان، والمكان، وتعابير الجهة، وألفاظ العاطفة و التقويم⁷⁴. أما تيار فلاسفة أكسفورد ، فيهتم بدراسة أفعال الكلام ، ومن أشهر أعضاء هذا التيار : أوستن وسورل، فقد ميزا بين الأقوال الخبرية والأقوال الإنجازية (الأمر- الوعد- التصريح- والمنع- والحث- والتحريض- والنهي- والردع- ...). وقد تم

⁷⁰ - محمد مفتاح: في سيمياء الشعر القديم، دار الثقافة، الدار البيضاء، الطبعة الأولى 1989م.

⁷¹ - حازم القرطاجني: منهاج البلاغء وسراج الأدباء، تونس، طبعة 1966م.

⁷² - François Récanati: La transparence et l'énonciation pour introduire à la pragmatique, Paris, Seuil, 1979.

⁷³ -O.Ducrot:(Analyse pragmatique),Communication 32,1981.p:134.

⁷⁴ - محمد مفتاح: تحليل الخطاب الشعري، ص:138.

الإشارة إلى قواعد المحادثة عند كرايس، وقوانين الخطاب عند دوكر و شروط النجاح عند سورل.. أما تيار التوليديين، فقد ركز على النص في علاقته بالسياق، ويمثله كل من : أوهمان صاحب كتاب (الأدب كفعل)، وفان ديك في دراسته (السياق التداولي: النص كأفعال كلامية)، وأشار إلى تيار آخر ، سماه بتيار السرديين الذي اهتم بمنطق السرد، كما هو الحال عند السيميائيين الذين يمثلهم: كريماص.

ومن جهة أخرى، فقد اهتم أحمد المتوكل بالبعد التداولي التوليدي في العديد من كتبه ، ولاسيما في كتابه (الوظائف التداولية في اللغة العربية) (1985م)، و (اللسانيات الوظيفية، مدخل نظري) (1987م)، متأثراً في ذلك بفان ديك وهاليداي على سبيل التمثيل، وقد ركز في مشروعه الوظيفي على الأدوار النحوية، والأدوار الدلالية، والأدوار التداولية.

ونذكر كتاباً تداولياً آخر يندرج ضمن لسانيات الخطاب هو كتاب (لسانيات النص) (1991م) لمحمد خطابي الذي تحدث فيه صاحبه عن مبدأي: الاتساق والانسجام في ضوء تصورات لسانيات الخطاب، ومنظور الذكاء الاصطناعي، وتصورات التداولية الخطابية والسياقية كما عند : فان ديك، وهاليداي ، وحسن رقية، وبراون ، ويول، وجري سميت، وروجي شانك، دون أن ينسى محمد خطابي المساهمات العربية في مجال الاتساق والانسجام. وبعد ذلك، اتخذ قصيدة أدونيس (فارس الكلمات الغريبة) مطية للتحليل وتطبيق لسانيات النص بجل أبعادها النصية والخطابية والتداولية والسياقية⁷⁵.

ونستحضر من الشرق العربي كتاباً قيماً تحت عنوان (إستراتيجية الخطاب، مقارنة لغوية تداولية) للباحث السعودي عبد الهادي بن ظافر الشهري (2004م)⁷⁶، حيث يتناول فيه مفهوم المنهج التداولي وإستراتيجية الخطاب، بالتشديد على الخطاب والسياق، وذكر العوامل المؤثرة في هذه الإستراتيجية كالسلطة والمقاصد. وبعد ذلك، يتطرق الكاتب إلى أنواع الإستراتيجيات، فيصنفها إلى: الإستراتيجية التوجيهية،

⁷⁵ - محمد خطابي: لسانيات النص، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، الطبعة الأولى سنة 1991م.

⁷⁶ - عبد الهادي بن ظافر الهشري: إستراتيجية الخطاب، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى ، سنة 2004م.

والإستراتيجية التضامنية، والإستراتيجية التلميحية، وإستراتيجية الإقناع، وختم كتابه بذكر آليات الإقناع والحجاج على حد سواء. وعلى العموم، يمكن القول - بشكل عام ومختصر - إن الدراسات التداولية تنظيرا وتطبيقا قد ازدهرت بشكل لافت في المغرب العربي (المغرب، والجزائر، وتونس) ، حيث انطلقت هذه الكتابات النظرية والتطبيقية من خلفيات معرفية متنوعة من حيث المصادر والمراجع والتصورات والرؤى، سواء أكانت تلك المرجعيات والخلفيات فرانكفونية أم أنكلوسكسونية أم عربية قديمة وحديثة ومعاصرة.

المبحث السادس: تقويم المقاربة التداولية

لا أحد ينكر إيجابيات المقاربة التداولية في مقاربة الخطاب أو النص الأدبي؛ لأنها تساعدنا على فهم النص فهما عميقا من خلال ربط الدلالة بالوظيفة السياقية والأداء الإنجازي. فلا يمكن تأويل النص الأدبي مهما كان هذا النص إلا بالاستعانة بالإحالة النصية والمقامية والسياقية، والانفتاح على المقصدية، وأفعال الكلام، وفهم حواريته الصريحة والمضمرة والبوليفونية النصية، دون أن ننسى أنه من الضروري بمكان دراسة النص الأدبي باعتباره تلفظا سياقيا وملفوظا حجاجيا لغويا من الداخل، وينبغي كذلك الانتقال من المعاني الحرفية إلى المعاني المجازية تأويلا واستكشافا وتشريحا. ويعني هذا كله أن المقاربة التداولية متكاملة إلى حد ما، مادام يترابط فيها التركيب النحوي بالدلالة والوظيفة السياقية والمقامية. وعلى الرغم من ذلك، فثمة مجموعة من السلبيات، فقد طبقت المقاربة التداولية على اللغة الطبيعية العادية الواضحة من حيث ملفوظاتها اللغوية، ولم تطبق على اللغة الأدبية والشعرية التي تتميز بالبعد الإيحائي والتشويش الدلالي كما في الشعر والمسرح والرواية. كما أن المقاربة التداولية في عمومها تعاملت نظريا وتطبيقيا مع الجملة أكثر مما تعاملت مع النص أو الخطاب. لذا، فصعوبات الخطاب التطبيقية أعوص من تطبيقات الجملة. وفي هذا، يقول الدكتور محمد مفتاح: "إننا لم نصل بعد إلى مبادئ قارة للتحكم في استعمال اللغة بكيفية ناجعة وناجحة لضبط حساب تأويل مانتلقاه، كما توصل اللسانيون إلى وضع قواعد تركيبية وصوتية. وإذا كان هذا العجز على مستوى استعمال اللغة بكيفية عادية، فإنه أدهى وأمر على مستوى استعمالها بكيفية أدبية. وهذا ما أدركه كثير من اللسانيين وفلاسفة اللغة، فلذلك نادى بعضهم بإخراج اللغة الأدبية من الدراسات اللسانية مؤقتا.

إن أهم من دعا إلى هذا: "أوستن"، ولانستغرب موقفه؛ لأن منطلقه كان هو تحليل اللغة العادية، وليس اللغة الشعرية التي هي- في نظره- غير جدية وغير عادية ومشوشة، لاترجع إلى الأفعال بالكلام، يقول: "إن

المقال الإنجازي سيكون فارغا أو خاليا إذا نطق به ممثل على الخشبة أو أدمج في نص شعري...⁷⁷

كما ميز سورل بين اللغة العادية الواضحة واللغة الأدبية المشوشة، أو بين اللغة التي تحيل على الواقع، واللغة التي تتمرد عنه، مفضلا اللغة العادية الخاضعة لمعايير معنوية وتداولية معينة. وقد اعتبر استعمال مقاييس اللغة العادية في المجال الأدبي ليست بحقيقة، وإنما هي ادعاءات أو إيهامات بالفعل الكلامي... " فالمتكلم ليس ملزما بصدق إخباره الأدبي مثلما هو ملزم بصدق إخباره العادي، وقول سورل هذا هو الخلاصة التي انتهى إليها كثير من الباحثين في الخطاب الأدبي."⁷⁸

بيد أن محمد مفتاح له تصور مخالف في ذلك، ونحن نؤيده في ذلك كل التأييد، فهو يرى أنه من الممكن دراسة الخطاب الأدبي في ضوء نظرية الأفعال الكلامية، وفي ضوء التصورات التداولية؛ لأن النص الأدبي فيه قسط من الواقع وقسط من الخيال. وفي هذا السياق، يقول محمد مفتاح في كتابه (تحليل الخطاب) (1985م): "إن هذا الإجماع لا يمنع من مناقشة بعض الأفكار الواردة في برهنتهم، مثل: المقابلة بين الادعاء/ الواقع، وبين العادي/ اللاعادي وغيرهما، فهي ليست متقابلات متناقضة، إذ قد يكون بين المتقابلين طرف محايد. كما أن برهنة سورل لم تشمل جميع الأنواع الخمسة (الفعل الإخباري، والفعل الأمرى، والفعل الالتزامى، والفعل التصريحي، والفعل البوحي الشعوري)، وإنما ضرب مثلا للإخبار والالتزام، وقد نسلم له بما قاله في المثليين من ادعاء، ولكننا لانسلم له بأن النوع التعبيري فيه ادعاء، بل يمكن القول إنه واقعي في كل استعمالات اللغة وبخاصة في الشعر، وهذا ما أثبتته دراسات كثيرة جعلت الوظيفة الاتفعالية أو التعبيرية من بين الوظائف الأساسية للغة، فالوظيفة الانفعالية أو التعبيرية هي جوهر الشعر الذي هو عبارة عن توجع وآهات إلى حد كبير. فهناك خلط، إذاً، يضاف إليه غموض آخر نجده في التفرقة بين الخيالي/ اللاخيالي، ودلالة الكلمات في كل منهما، فهي ليست لها الدلالة العادية في الخطاب الخيالي، إن هذه الثنائية مجحفة أيضاً، فالخطاب الخيالي يكون محتويا بلاشك على قسط واقعي، وعلى هذا، فإن هناك في

⁷⁷ - محمد مفتاح: نفسه، ص: 144.

⁷⁸ - محمد مفتاح: نفسه، ص: 145.

النص الأدبي ما يحكم بقواعد الخطاب الواقعي، ومنه ما يتمرّد عليها، وقد يتجلى خرق العادة اللغوية في أنواع أدبية خاصة، مثل: الأدب الفانتازي، وأدب الغرائب والعجائب، وفي بعض النصوص الشعرية الحديثة. ومهما يكن، فإن هذا الجيل من فلاسفة اللغة أبعث البحث في الأدب مؤقتاً، ولكن سورل بدأ يفتح عليه أخيراً بوضع مفاهيم إجرائية مفيدة لدراسة النص الأدبي، وبخاصة في كتابه: "المعنى والتعبير" و"المقصدية"، كما نجد لدى كرايس مفهوم التضمن الذي يتيح الفرصة للبحث عن التشاكل الجامع، وترابط الكلام بعضه ببعض، على الرغم مما يعترضه من انقطاعات وثغرات.⁷⁹

علاوة على ذلك، لاتعنى المقاربة التداولية كثيراً بالجمالية الفنية، ولاتركز اهتمامها على أدبية النص في حد ذاتها بغية تعميق الفهم في الآليات التي تتحكم في بناء النص الأدبي، كما لاتعنى هذه المقاربة بالعواطف والانطباعات والذوق الأدبي.

وعلى الرغم من هذه الانتقادات، تبقى التداولية أو الذرائعية - كما يسميها البعض - مقارنة شبه متكاملة، فقد استطاعت أن تسد ثغرة اللسانيات الموجودة، كاللسانيات الوصفية واللسانيات التفسيرية بإضافة البعد التداولي إليها. وقد عملت التوليدية التحويلية مع نوام شومسكي بإضافة القدرة التداولية إلى القدرة الكفائية على مستوى التصور النظري والتطبيقي. ولهذا، "ظهرت دراسات مختلفة منها (على سبيل المثال لا الحصر) محاولات ستيفن ليفنسون في كتابه: "التداوليات". فهو يرى أن نقص التركيز على الجانب التبادلي يفضي إلى عجز اللسانيات عن تبرير الجانب الاتصالي للغة، خاصة أن نظرية علم المعاني لا تعيننا كثيراً على فهم اللغة. من هذا المنطلق، أصبحت الذرائعية أو التبادلية جزءاً ثالثاً في الدراسة اللسانية. أما في الدراسات الأدبية، فقد ركزت الذرائعية على سمة الأدب الاتصالية انطلاقاً من أن الاتصال عموماً لا يكتمل دون أخذ الأدب وسياقه في الاعتبار، كما أن دراسة الأدب لاتكتمل دون الأخذ في الاعتبار توظيف الأدب لمصادر الاتصال المختلفة. إن أبعاد مثل هذا الطرح لاشك مثرية، فالأدب لم يعد نصاً مغلقاً أو بنية شكلية معزولة عن سياقها، بل إن هذا الاتجاه أعاد إلى الدرس الأدبي الصلة القديمة بين

⁷⁹ - محمد مفتاح: نفسه، ص: 145-146.

الخطابة والشعرية. ولهذا، فإن الدراسة الذرائعية/ التبادلية للأدب تسعى إلى اكتشاف التقنيات العملية في النص (الإيحاء، والافتراض المسبق، والإقناع)، وربطها بالقوى الخارجية في عالم الكاتب والقارئ، مثل : علاقات القوى والتقاليد الثقافية، وأنظمة النشر والتوزيع والرقابة، وهلم جرا. ويبقى التركيز في كل هذا على صلات الاتصال والتفاعل الخاصة والدقيقة الفعلية.⁸⁰

وهكذا، فلا يمكن للنقد الأدبي أن يحقق نجاعته الكفائية والتقنية إلا بتمثل المقاربة التداولية التي تجمع بين ثلاثة عناصر متكاملة هي: النحو، والدلالة، والوظيفة.

⁸⁰ - ميجان الرويلي وسعد البازعي: نفسه، ص:103.

الخاتمة

و**خلاصة القول**، نستنتج أن المقاربة التداولية هي التي تدرس النص في سياقها التخاطبي والتفاعلي والتحواري بالتركيز على أفعال الكلام، وعمليات التخاطب والتفاعل، والتشديد أيضا على الإحالة، والسياق، والمقصدية، والوظيفة، والتأويل، والاستلزام الحوارية... بيد أن المقاربة التداولية من الصعب جدا تطبيقها بكل سهولة ويسر على النص الأدبي التخيلي؛ نظرا لتمرده عن المعيار، واتسامه بالتخييل والانزياح والتشويش والخرق، ومجانبة الحقيقة والصدق الواقعي، كما يعترف بذلك التداوليون أنفسهم كسورل وأوستين وكرايس وغيرهم كثير... إلا أن هناك بعض الباحثين يرى عكس ذلك، كالباحث المغربي محمد مفتاح، أنه بالإمكان تطبيق مفاهيم المقاربة التداولية على النص الأدبي مادام يتأرجح بين الواقع والتخييل، كما أن نظرية الأفعال الكلامية يمكن استعمالها في مجال الأدب والنقد، ويمكن تشغيل غيرها من المفاهيم الوظيفية خاصة في مجال المسرح والسرديات.

ومهما تكن من تصورات مختلفة حول إمكانية تطبيق المقاربة التداولية في مقاربة النص الأدبي، فإن هذا النص الخيالي والفني والخيالي قد استفاد - فعلا- من آليات المقاربة التداولية ولسانيات النص استفادة كبيرة، لا يمكن إنكارها بأي حال من الأحوال، على الرغم من صعوبتها النظرية والتطبيقية. كما لا يمكن إطلاقا غض الطرف عن أهميتها، أو الحط من قيمتها، وتتمثل هذه الاستفادة بكل جلاء في كون المقاربة التداولية تنظر إلى النص الأدبي خطابا، ووظيفة، وسياقا، وإحالة، وتأويلا، وحجاجا، وإقناعا، وتلفظا، واتساقا، ومقصدية، وتخاطبا، وتفاعلا، واستلزاما حواريا. ومن ثم، يتأرجح النص الأدبي، في جوهره، بين المعاني الحرفية والمعاني المجازية السياقية، ويجمع بين الأدوار النحوية والأدوار الدلالية والأدوار التداولية، وينتقل في سلمه التعبيري والحجاجي من التركيب والدلالة إلى التداول السياقي والمقامي.

وعليه، تعد التداوليات من أهم الآليات الإجرائية النظرية والتطبيقية التي تسعفنا في تحليل الخطاب تفكيكا وتركيبا، أو دراسته فهما وتفسيرا وتأويلا، سواء أكان ذلك الخطاب المرصود لسانيا أم أدبيا أم نقديا أم فلسفيا

أم منطقيا أم إعلاميا، إذ لا يمكن الاستغناء ، بأي حال من الأحوال، عن
البعد التداولي في دراسة اللغة الإنسانية بصفة عامة، والخطاب الأدبي
والنقدي بصفة خاصة.

ثبت المصادر والمراجع

المصادر:

1- حازم القرطاجني: منهاج البلغاء وسراج الأدباء، تونس، طبعة 1966م.

المراجع باللغة العربية:

- 2- أحمد المتوكل: اللسانيات الوظيفية، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية 2010م.
- 3- أريكشيوني: فعل القول من الذاتية في اللغة، ترجمة: محمد نظيف، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب، الطبعة الأولى سنة 2007م.
- 4- تزفيطان تودوروف: الشعرية، ترجمة: شكري المبخوت ورجاء بن سلامة، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، الطبعة الأولى سنة 1987م.
- 5- جون أوستين: نظرية أفعال الكلام العام، ترجمة: عبد القادر قينيني، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب، الطبعة الأولى سنة 2006م.
- 6- حسين الواد: في مناهج الدراسات الأدبية، منشورات الجامعة، المغرب، الطبعة الثانية، سنة 1985م.
- 7- حافظ إسماعيل علوي: اللسانيات في الثقافة العربية المعاصرة، دار الكتاب الجديدة المتحدة، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى سنة 2009م.
- 8- سعد البازعي وميجان الرويلي: دليل الناقد الأدبي، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية، سنة 2000م.
- 9- عبد المجيد نوسي: التحليل السيميائي للخطاب الروائي، شركة النشر والتوزيع المدارس، الدار البيضاء، الطبعة الأولى سنة 2002م.
- 10- عبد الهادي بن ظافر الهشري: إستراتيجية الخطاب، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، سنة 2004م.
- 11- فيليب هامون: سيميولوجية الشخصيات، ترجمة: سعيد بنكراد، دار الكلام، الرباط، الطبعة الأولى سنة 1990م.

- 12- فرانسواز أرمينكو: المقاربة التداولية، ترجمة: د. سعيد علوش، المؤسسة الحديثة للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى سنة 1987م.
- 13- فان ديك: النص والسياق، ترجمة: عبد القادر قينيني، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، الطبعة الأولى سنة 1999م.
- 14- محمد محمد يونس علي: مدخل إلى اللسانيات، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى سنة 2004م.
- 15- محمد خطابي: لسانيات النص، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، الطبعة الأولى سنة 1991م.
- 16- محمد الحناش: البنوية في اللسانيات، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، المغرب، الطبعة الأولى سنة 1980م.
- 17- محمد مفتاح: في سيمياء الشعر القديم، دار الثقافة، الدار البيضاء، الطبعة الأولى سنة 1989م.
- 18- محمد مفتاح: تحليل الخطاب الشعري (إستراتيجية التناص)، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، الطبعة الأولى سنة 1985م.

➤ المراجع الأجنبية:

- 19- A.J.Greimas: Maupassant, la sémiotique du texte: exercices pratiques, éditions du Seuil, Paris 1976.
- 20-A.J.Greimas.J.Courtés:Sémiotique.Dictionnaire Raisonné de la théorie du langage. Hachette Université, Paris, 1979, Sémiologie.
- 21-Bally:(Les notions grammaticales d'absolu et de relief), In: essais sur le langage, Minuit, Paris, 1969.
- 22-Benveniste, E: Problèmes de linguistique générale2, ED, Gallimard, Paris, 1974.
- 23- Benveniste: Problèmes de linguistique générale 1, ED, Gallimard, Paris, 1966

- 24-C.K.Orecchioni: **L'énonciation de la subjectivité dans le langage**, Paris, Armand Colin, 1980.
- 25-C. Levi-Strauss: **Anthropologie structurale**, Plon, Paris, 1958.
- 26-Fillmore :(Deictic categories in the semantics of come), **Foundations of language** 2, 1966.
- 27-J.L.Austin: **Quand dire, c'est faire**, Editions du Seuil, Paris, 1970.
- 28-John R.Searle: **les actes de langage**, Collection, savoir Herman, Paris, 1972.
- 29-Halliday, M.A.K and R.Hassan: **Cohesion in English**.Longman.London.1976.
- 30- H.Grice. (Logic and conversation), In Steven David (Ed), **Pragmatics: A** reader, New York, Oxford University press, 1991.
- 31-O. Ducrot :(Analyse pragmatique), **Communication** 32,1981.
- 32- Paul Ricoer: **La métaphore vive**.Seuil, Paris, 1975.
- 33-R.Jakobson: **Essais de linguistique générale**, Minuit, Paris, 1963.
- 34-W. James : **le pragmatique**, traduction E.Le Brun, Edition Flammarion, 1968.
- 35-Weinrich Hharold: **Le temps**, Seuil, Paris, 1973.
- 36- Wunderlich, Dieter: (Pragmatique, situation d'énonciation et deixis), **Langages**, 26, juin1972.

● المقالات العربية:

37- ترنس هوكس: (مدخل إلى السيمياء) ، مجلة بيت الحكمة، المغرب،
العدد5، السنة الثانية، سنة 1987م.
220

38- رضوان الرقبي: (الاستدلال الحجاجي التداولي وآليات اشتغاله)،
مجلة عالم الفكر، الكويت، العدد2، المجلد 40، أكتوبر- ديسمبر 2011م.

الفهرس

الإهداء

المقدمة

المبحث الأول:

تحديد المصطلح

المبحث الثاني:

مفهوم المقاربة التداولية

المبحث الثالث:

سياق ظهور المقاربة التداولية

المبحث الرابع:

التداوليات والنص الأدبي

المبحث الخامس:

المقاربة التداولية في العالم العربي

المبحث السادس:

تقويم المقاربة التداولية

الخاتمة

ثبت المصادر والمراجع

الفهرس

سيرة الباحث:



- جميل حمداوي من مواليد مدينة الناظور المغرب.
- حاصل على دكتوراه الدولة سنة 2001م.
- أستاذ التعليم العالي .
- أديب ومبدع وناقد وباحث، يشتغل ضمن رؤية أكاديمية موسوعية.
- حصل على جائزة مؤسسة المثقف العربي (سيدني/أستراليا) لعام 2011م في النقد والدراسات الأدبية.
- حاصل على جائزة ناجي النعمان الأدبية سنة 2014م.
- رئيس الرابطة العربية للقصة القصيرة جدا.
- رئيس المهرجان العربي للقصة القصيرة جدا.
- رئيس الهيئة العربية لنقاد القصة القصيرة جدا.
- رئيس الهيئة العربية لنقاد الكتابة الشذرية ومبدعيها.
- رئيس جمعية الجسور للبحث في الثقافة والفنون.
- رئيس مختبر المسرح الأمازيغي.
- عضو الجمعية العربية لنقاد المسرح.
- عضو رابطة الأدب الإسلامي العالمية.
- عضو اتحاد كتاب العرب.
- عضو اتحاد كتاب الإنترنت العرب.
- عضو اتحاد كتاب المغرب.
- من منظري فن القصة القصيرة جدا وفن الكتابة الشذرية على الصعيد العربي.
- خبير في البيداغوجيا والسيميولوجيا والثقافة الأمازيغية.
- ترجمت مقالاته إلى اللغة الفرنسية و اللغة الكردية.

- شارك في مهرجانات عربية عدة في كل من: الجزائر، وتونس، ومصر، والأردن، ولبنان، والسعودية، والبحرين، والعراق، والإمارات العربية المتحدة، وسلطنة عمان...

- مستشار في مجموعة من الصحف والمجلات والجرائد والدوريات الوطنية والعربية.

- نشر العديد من المقالات الورقية المحكمة وغير المحكمة التي تربو على الألف. علاوة على عدد كبير من المقالات الرقمية، وأكثر من (114) كتاب في مجالات متنوعة. وبهذا، يكون أكثر إنتاجا في المغرب العربي من حيث الكتب والمقالات.

- ومن أهم كتبه: الشذرات بين النظرية والتطبيق، والقصة القصيرة جدا بين التنظير والتطبيق، والرواية التاريخية، تصورات تربوية جديدة، والإسلام بين الحداثة وما بعد الحداثة، ومجزئات التكوين، ومن سيميوطيقا الذات إلى سيميوطيقا التوتر، والتربية الفنية، ومدخل إلى الأدب السعودي، والإحصاء التربوي، ونظريات النقد الأدبي في مرحلة ما بعد الحداثة، ومقومات القصة القصيرة جدا عند جمال الدين الخضير، وأنواع الممثل في التيارات المسرحية الغربية والعربية، وفي نظرية الرواية: مقاربات جديدة، وأنطولوجيا القصة القصيرة جدا بالمغرب، والقصيدة الكونكرتية، ومن أجل تقنية جديدة لنقد القصة القصيرة جدا، والسيميولوجيا بين النظرية والتطبيق، والإخراج المسرحي، ومدخل إلى السينوغرافيا المسرحية، والمسرح الأمازيغي، ومسرح الشباب بالمغرب، والمدخل إلى الإخراج المسرحي، ومسرح الطفل بين التأليف والإخراج، ومسرح الأطفال بالمغرب، ونصوص مسرحية، ومدخل إلى السينما المغربية، ومناهج النقد العربي، والجديد في التربية والتعليم، وببليوغرافيا أدب الأطفال بالمغرب، ومدخل إلى الشعر الإسلامي، والمدارس العتيقة بالمغرب، وأدب الأطفال بالمغرب، والقصة القصيرة جدا بالمغرب، والقصة القصيرة جدا عند السعودي علي حسن البطران، وأعلام الثقافة الأمازيغية...

- عنوان الباحث: جميل حمداوي، صندوق البريد 1799، الناظور 62000، المغرب.

- الهاتف النقال: 0672354338

- الهاتف المنزلي: 0536333488
- الإيميل: Hamdaouidocteur@gmail.com
Jamilhamdaoui@yahoo.fr

كلمات الغلاف الخارجي:

يقصد بالمقاربة التداولية تلك النظرية النقدية التي تدرس الظواهر الأدبية والثقافية والفنية والجمالية في ضوء التداوليات اللسانية. ويعني هذا أن المقاربة التداولية تدرس النص أو الخطاب الأدبي في علاقته بالسياق التواصلية، والتركيز على أفعال الكلام، واستكشاف العلامات المنطقية الحجاجية، والاهتمام بالسياق التواصلية والتلفظي. وبتعبير آخر، تركز المقاربة التداولية على عنصر المقصدية والوظيفة في النصوص والخطابات. وبهذا، تكون التداوليات قد تجاوزت سؤال البنية وسؤال الدلالة، لتتجهت بسؤال الوظيفة والدور والرسالة والسياق الوظيفي. كما تعنى المقاربة التداولية بفهم العلاقات الموجودة بين المتكلم والمتلقي ضمن سياق معين؛ لأن البعد التداولي يبنى على سلطة المعرفة والاعتقاد. وتسمى هذه المقاربة كذلك بالمقاربة التواصلية، أو المقاربة الوظيفية، أو المقاربة الذرائعية، أو المقاربة المنطقية، أو المقاربة البراجماتية، أو المقاربة الحجاجية... وهلم جرا.

وإذا كانت المقاربة التداولية قد عرفت انتشاراً في الغرب، فإن هذه المقاربة مازالت في بداياتها الأولى في العالم العربي، على الرغم من وجود آثارها في تراثنا العربي القديم في البلاغة والفقه والفلسفة وأصول الفقه...، ولم يتم استدماجها بعد في حقلنا الثقافي العربي الحديث والمعاصر لمقاربة النصوص والخطابات الأدبية والإبداعية، ماعداً بعض الاستثناءات القليلة التي تعد على الأصابع.

